الانتقاد

(علی)

كتاب التمدن الاسلامی للفاضل جرجی زيدان

للشيخ الاستاذ شبلی النعمانی الهندی

(اعتنیٰ بطبعه)

القارئ محمد عبد الولی بن العلامة الآسی المرحوم

(طبع)

فی مطبع آسی پریس الکائنة فی محمود نگر لکنؤ

سنه ۱۹۱۲ء

جدول اصلاح ما وقع فى طبع هذا الكتاب من الخطأ والتصحيف

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطأ	صواب
١	٧	رسايه	رسايسه	٧	١٣	هذة الصنيعة	هذا الصنيع
٢	١	من	٠	〃	٤	لترويح	لترويج
〃	١٣	الخزانة	خزانة	〃	٥	تصيب	يصيب
٣	١٤	حَمَّلْتُ	حملت	〃	٩	تغير	تغيير
〃	١٥	ليس	ليست	٩	٢	بزورهم	بذورهم
٤	١٧ ١	اتبز لعرب	ابتز عرب	〃	٩	مهدى	المهدى
〃	١٣	يحَرَّمون	يحرمون	〃	١٣	عرب	عربي
٥	١٥	امثلةٌ	امثلةً	〃	١٤	عرب	عربي
٦	٢	به	بهم	١٠	٥	كوفة	الكوفة
〃	٤	ابن وقاص	ابن ابي وقاص	〃	٨	كوفة	الكوفة
〃	٦	حيرة	الحيرة	〃	〃	قضايه	قضائه
〃	١٤	وترصيه	وترميهم	〃	〃	استنكفوا	الاستنكفوا

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب
١٠	١٢	لايبايع	لاتبايع	١٥	٩	المجية	المحجية
١٢	٢	ولدا	ولدًا	١٦	١٦	يلايم	تلايم
〃	٨	مرزولين	مرذولين	〃	〃	الطبعي	الطبيعي
〃	١٠	المَل	الكمل	١٨	١٠	بادئ الظلم	بادئ بالظلم
〃	١٦	يمن	اليمن	〃	١٦	لرمتها	لرمّتها
١٢	٦	الموالى	من الموالى	١٩	٤	اعتذارا	بالاعتذار
〃	١٠	المسايل	المسائل	〃	٨	مسايل	مسائل
〃	١٤	تعذر	تعذرت	١٩	١١	رصته	رمّته
〃	١٦	حسن	الحسن	〃	١٦	ولدٌ لمروان	وليٌ لمروان
١٣	١	يكون	تكون	٢٠	١٥	بها	له
〃	٤	المسايل	المسائل	〃	١٦	الموثوقة	الموثوق
〃	١٢	يمن	اليمن	〃	١٧	يكن	تكن
١٤	١	حجاج	الحجاج	٢١	٣	المراد	مراد
〃	سله	عقد الفريد	العقد الفريد	〃	٦	نال	ثالث
١٥	٥	مرزولين	مرذولين	٢٢	١	المختلفة	المختلفة

صفحه	سطر	خطأ	صواب
″	١٣	لعلج	العلج
″	١٦	الوليدُ	الوليدَ
٢٣	١٥	دماءًا	دماءً
٢٤	٦	ساير	سائر
″	٧	يسر	بسر
″	٦	الموثوقة	الموثوق
٢٦	٢	يستشن	يستثن
″	٤	باس	بأس
″	٥	كاث	كانت
″	″	رافعا	رافعة
″	″	هادما	هادمة
″	١٧	صنيعة	صنيع
٢٧	١	القايم	القائم
″	٨	قايمة	قائمة
″	١١	ثم قال"	قال" ثم
″	١٥	اليه	اليها
″	٢٨	طايفة	طائفة
″	١٠	ابالجلوس	بالجلوس
″	١٤	يجترئ	نجترئ
٣٠	٢	اجتروت	جترأت
″	٦	امية	مية
″	١٠	نتايج	نتائج
″	″	ساير	سائر
٣١	١١	الكلام	للكلام
″	١٢	احدًا	واحدًا
٣٢	٣	للقريش	لقريش
٣٣	١	ليتس	ليس
″	٢	زياد	زيادًا
″	٢	ليتس	ليس
″	١١	وسبيلة	وسيلة

صفحه	سطر	خطأ	صواب
〃	١٣	الجزيّة	الجزية
〃	١٥	السلامهم	اسلامهم
〃	١٦	الجزيّة	الجزية
〃	〃	يكن	تكن
〃	〃	شئ	شيئا
٣٥	١	عمالٍ	عمّالًا
〃	٣	لحرب	الحرب
〃	٨	نى	فى
〃	١٦	البّ	تالّب
〃	١٧	فتلوه	قتلوه
٣٦	٢	اشرس	الاشرس
〃	〃	اشرس	الاشرس
〃	١٥	الجزيه	الجزية
٣٧	٢	المؤلف	للمولف
〃	١٣	لاجتراء	الاجتراء

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٣٨	١	الان	الاٰن
〃	٥	الرهبة	الرهبنة
〃	٧	ولكن	لكن
〃	٩	اليه هذا البحث	خاتمة هذا البحث
〃	١٨	اهتدنا	اهتدينا
٣٨	١٩	خياناتها	خياناته
〃	٢٠	التغمير	التغيير
٣٩	٥	اناشدك باللّٰه	اناشدك اللّٰه
〃	٧	شاو	شأو
〃	١٥	العرب	عرب
〃	〃	العرب	عراب
٤٠	٦	صح نوع	بنوع
〃	٨	المعاوبة	معاوية

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٤٠	١٤	انظروه	انظروا
//	١٦	حوايج	حوائج
٤١	١٠	لملك	الملك
//	١٥	حنفية	الحنفية
//	١٦	كفاءة	كفاية
٤٢	١	هذه	هذا
//	٥	خلفايهم	خلفائهم
//	٦	سوال	سؤال
٤٣	١	المودبين	المؤدبين
//	٥	ضرب	ضربت
٤٤	٥	هنا	هنالك
//	١٥	الذين	فان الذين
//	٩	سبعة	سعة
٤٥	٨	صماريح	صهاريج
//	٥	العف	الالف

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٤٧		نموذا	نفودا
//	١	المودبين	للمؤدبين
//	١٤	التصحيب في	التصحيف في
٤٩	٢	رجأ	رجاء
//	٥	استودعت	استيداعها
//	١٥	يومين	يومئذ
٥٠	٣	مدونوا	مدونو
//	٤	فقد	.
//	١٢	يزيدعبد	يزيد بن عبد
٥١	٨	سالة	سأله
//	١٠	الماضيين	الماضين
٥٢	١٣	العلمين	العٰلمين
٥٣	٧	اذا	واذا
٥٤	١٣	موسس	مؤسس
//	١٤	تضئيقا	تضييقا

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٥٥	١	انتها	انته
〃	٤	ذهب	ذهبت
〃	٧	القرات	القرآن
〃	١٥	النصبغ	التصبغ
٥٦	١	يوموهم	بأموهم
〃	٤	من	عن
٥٧	٦	ساموها	ساموهم
〃	٨	مواضع	موضع
〃	١١	انفهم	انوفهم
〃	١٤	تشمأزعنها	تشمأزمنها
٥٨	٢	سجنوهم	سجنوا
〃	〃	عذبوهم	عذبوا
〃	٤	تفتخربها	يفتخربها
〃	٧	خاب	خابت
〃	〃	يكادلا	لايكاد

صفحه	سطر	خطأ	صواب
〃	١٣	اضطهدواعلى	اضطهدوا
〃	١٤	يوبه	يؤبه
〃	١٦	امرة	امرءة
٥٩	١	باحراج	باخراج
〃	٨	بهدم	هدم
〃	١٣	الخزانة	خزانة
٦٠	٢	تضريح	تصريح
〃	١٢	موثوقين	موثوق
〃	١١	مّا	ما
٦١	١	محوبها	محوها
	٦	ايضاحا	ايضاحًا
〃	٢	هذا	ذلك
〃	١٢	قرءة	قراءة
〃	١٠	الايخيل	الانجيل
٦٢	٢	آتشوقوا	تشوقوا

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٦٢	١٧	بالاخبا	بالاخبار
٦٢	٥	ن المسئلة	كانت المسئلة
٦٤	١٠	بن اسلام	بن سلام
٦٥	١	عمووالورى	عمق السوارى
〃	٩	يكن	تكن
	١١	يتصل	تتصل
	١٣	يكون	تكون
٦٦	٣	اخبار	الاخبار
٦٧	١٣	صار	صارت
٦٩	٩	امبراطورة	امبراطرة
〃	١٧	لو	ان
٧٠	٩	وشام	والشام
〃	١١	حيا	حا
〃	١٣	ما	صا
٧١	١	الخزانة	خزانة

صفحه	سطر	خطأ	صواب
〃	١٠	لسان الاردو	اللسان الاردوى
〃	〃	احد من اهل	احد اهل
〃	١١	شطرُ	شطرٌ
〃	١٥	لموثوقة	الموثوق
٧٢	١	كان ضاعت	ضاعت
〃	٧	عليهم	علمهم
〃	١٣	المصر	مصر
٧٣	٥	تقئيد	تقييد
٧٤	١٤	فرايينا	فرأينا
٧٤	١٧	لنصكم اهل الشام	انصار الشام
٧٥	٣	التضئيق	التضييق
〃	٦	الموثوقة	الموثوق
〃	١٦	يجزونهم	يخبرونهم
٧٦	٩	فرجاة البضاعة	بضاعة مزجاة
〃	١٠	اسماعًا	اسماءً

صفحہ	سطر	خطأ	صواب	صفحہ	سطر	خطأ	صواب
۷۶	۱۷	المالك	مالكًا	۷۸	۸	الابراهيم	لابراهيم
"	"	محمد	احمد	۷۹	۱۲	وجها	وجهها
۷۷	۹	سبحنه	سبجنه	"	۱۴	بجلبع	بخلع
۷۸	۱۳	نسخته	نسخة	۸۰	۱۲	من احد	احد
۷۸	۸	الحماد	لحماد	"	۱۶	فاخذ	اخذ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه اجمعين

ان الدهر دار العجايب، ومن احدث عجايبه ان رجلا من رجال العصر يؤلف فى تاريخ تمدن الاسلام كتابا يرتكب فيه من تحريف الكلم وتمويه الباطل، وقلب الحكاية والخيانة فى النقل وتعمد الكذب، ما يفوق الحد ويتجاوز النهاية، وينتشر هذا الكتاب فى مصر وهى غرة البلاد وقبة الاسلام ومغرس العلوم ثم يزداد انتشارا فى العرب والعجم ومع هذا كله لا يتفطن احد لدسايسه ان هذا الشئ عجاب. لم يكن المرء ليجترئ على مثل هذه الفظيعة فى مبتدأ الامر ولكن تدرج الى ذلك شيئا فشيئا فانه اصدر الجزء الثانى من الكتاب وذكر فيه مثالب العرب دسيسة يتطلع بها على احساس الامة وعواطفها ولما لم يتنبه لذلك احد ولم ينبض لاحد عرق، ووجد الجو صافيا ارخى العنان وتمادى فى الغى واسرف فى النكاية بالعرب عموما وخلفاء بنى امية خصوصا.

وكان يمنعنى عن النهوض الى كشف دسايسه اشتغالى بامر ندوة العلماء

ولكن لما عمّ البلاءُ وتوسّع الخرقُ وتفاقم الشر لم أطق الصبر فاخلست من من أوقاتي أيامًا وتصديت للكشف عن عوار هذا التأليف والإبانة عما فيه من انواع الإفكِ والزورِ واصناف التحريف والتدليس،

معذرة الى المؤلف

اني أيها الفاضل المؤلف غير جاحد لمنتك فانك قد نوهت باسمي في تاليفك هذا وجعلتني موضع الثقة منك واستشهدت باقوالي و نصوصي ووصفتني بكوني من اشهر علماء الهند مع اني اقلهم بضاعة واقصرهم باعًا واخملهم ذكرا ولكن مع كل ذلك هل كنت ارضى بان تمدحني وتهجو العرب فتجعلهم غرضا للسهام وديتة لرمحك ترميهم بكل معيبة وشين وتعزو اليهم كل دنية وشر حتى تقطعهم اربا اربا وتمزقهم كل ممزق وهل كنت ارضى بان تجعل بني امية لكونهم عربا بحتا من اشر خلق الله واسوئهم يفتكون بالناس ويسومونهم سوء العذاب ويهلكون الحرث والنسل ويقتلون الذرية وينهبون الاموال و ينتهكون الحرمات ويهدمون الكعبة ويستخفون بالقرآن،

وهل كنت ارضى بان تنسب حريق الخزانة الاسكندرية الى عمر ابن الخطاب الذي قامت بعدله الارض والسماء وهل كنت ارضى بان تمدح بني العباس فتعد من احدى مفاخرهم انهم نزلوا العرب منزلة الكلب حتى ضرب بذلك المثل وان المنصور بنى لقبة الخضراء ارغامًا للكعبة وقطع الميرة عن الحرمين استهانة بهما وان المامون كان ينكر نزول القرآن وان المعتصم بالله انشأ كعبة

فی سامرا وجعل حولها طوافا واتخذ منی وعرفات۔

وهب انی عدمت الغيرة علی الملة والدين وافتخرت كصنيع بعض الاجانب بانی فلسفی بحت عادم لكل عاطفة ووجدان فلا ارضی ولا اغضب ولا اسر ولا اغتاظ ولا افرح ولا اتألم وهب انی حملت نفسی علی احتمال الضيم وقبول المكروه والصمم عن البذاء ومجازاة السيئة بالحسنة ومكافاة الخبيث بالطيب فهل كنت ارضی بان تشوه وجه التاريخ وتدمغ الحق وتروج الكذب فی تفسد الرواية وتقلب الحقيقة وتنفق التهم وتعود الناس بالخرافة ۔بئس ما زعمت ايها الفاضل فان فی الناس بقايا وان الحق لا يعدم انصارا

ان الغاية التی توخاها المؤلف ليست الا تحقير الامة العربية وابداء مساويها ولكن لما كان يخاف ثورة الفتنة، غير مجری القول ولبس الباطل بالحق بيان ذلك انه جعل لعصر الاسلام ثلثة ادوار دور الخلفاء الراشدين ودور بنی امية ودور بنی العباس، فمدح الدور الاول وكذلك الثالث (ظاهرا لا باطنا كما سيجئ) ولما غر الناس بمدحه للخلفاء الراشدين وهم سادتنا وقدوتنا فی الدين وبمدحه لبنی العباس وهم ابناء عم النبی وبهم فخارنا فی بث التمدن وابهة الملك، ورأی ان بنی امية ليس لهم وجهة دينية فلا ناصر لهم ولا مدافع عنهم تفرغ لهم وحمل عليهم حملة شنعاء فما ترك سيئة الا وعزاها اليهم وما خلی حسنة الا وابتزها منهم، ثم لو كان هذا لاجل انهم من آل مروان، او لكونهم من سلالة

امیۃ لکنا فی غنیً عن الذبّ عنهم والحمایۃ لهم ولکن کلّ ذنبهم انهم العرب علی صرافتهم ما شابتهم العجمیۃ مطلقاً کما قال

"ویمتاز (ای دولۃ بنی امیۃ) عن الدولۃ العباسیۃ بانها عربیۃ بحتۃ" (الجزء الثانی من تمدن الاسلام)

"وجملۃ القول ان الدولۃ الامویۃ دولۃ عربیۃ اساسها طلب السلطۃ والتغلب" (الجزء الرابع صفحۃ ۱۰۳)

عصبیۃ العرب علی العجم اطال المولف واطنب فی اثبات هذہ الدعوی فذکر طرفاً منه فی الجزء الثانی مدسوساً (انظر صفحۃ ۱۰) ثم جعل له عنواناً خاصاً فی الجزء الرابع (۵۸)

وهذہ نصوصه،

"فان العرب کانوا یعاملونهم معاملۃ العبید"

"واذا صلوا خلفهم فی المسجد حسبوا ذلک تواضعاً لله"،

"وکانوا یحرمون الموالی من الکنی ولا یدعونهم الا بالاسماء والالقاب ولا یمشون فی الصف معهم"

"وکانوا یقولون لا یقطع الصلوۃ الا ثلثۃ حمار او کلب او مولی"

"فکان العربی یعدّ نفسه سیداً علی غیر العربی ویری انه خلق للسیادۃ وذاک للخدمۃ"،

"فتوهم العرب فی انفسهم الفضل علی سائر الامم حتی فی ابدانهم وامزجتهم فکانوا یعتقدون انه لا عمل فی سن الستین الا قرشیة. ** وان الفالج لا یصیب ابدانهم" "ومنعوا غیر العرب من المناصب الدینیة المهمة کالقضاء فقالوا لا یصلح للقضاء الا عربی وحرموا منصب الخلافة علی ابن الامة ولو کان ابوه قرشیا ** ولا یزوجون الاعجمی عربیة ولو کان امیرا وکانت هی من احقر القبایل"،

"وکان الامویون فی ایام معاویة یعدون الموالی اتباعا وارقاء وتکاثروا فادرک معاویة الخطر من تکاثرهم علی دولة العرب فهم ان یامر بقتلهم کلهم او بعضهم"،

اعلم ان للمؤلف فی نفاق باطله اطوارا شتی،

فمنها تعمد الکذب کما ستری"

ومنها تعمیمه لواقعة جزئیة،

ومنها الخیانة فی النقل وتحریف الکلم عن مواضعها،

ومنها الاستشهاد بمصادر غیر موثقة مثل کتب المحاضرات والفکاهات وهاک امثلة من کل نوع منها قال، "اذا صلوا خلفهم فی المسجد حسبوا ذلک تواضعا لله وکانوا یحرمون الموالی من الکنی الخ" "وکانوا یقولون لا یقطع الصلوٰة الا ثلثة" الخ،

غیرُ خافٍ علی من له المامٌ بتاریخ الفرس والعرب ان الفرس کانت
قبل الاسلام تحتقر العرب وتزدری به ولما ارسل رسول الله صلی الله علیه وسلم
کتابه الی کسری العجم اشمأز وقال عبدی یکتُبُ الیّ وکتب یزدجرد الی سعد
ابن وقاص فاتح القادسیة ان العرب مع شُرب البان الابل واکل الضبّ
بلغ بهم الحال الی ان تمنّوا دولة العجم فاُفٍّ لكَ ایها الدهر الدایرُ، و
کانت ملوك حیرة تحت امرة ملوك العجم۔

ثم لما شرف الله العرب بالاسلام انتصفت العربُ من العجم و
استنکفوا من سیادتهم علیهم

وجاءت الشریعة الاسلامیة ماحیة لکل فخر ونخوة فقال
رسول الله فی خطبته الاخیرة فی حجة الوداع، ان لا فضل للعربی
علی العجمی ولا للعجمی علی العربی کلکم ابناء آدم،

وحینئذٍ ارتفع التمایز وتساوی الناس ولکن مع ذلك بقیت فی
بعض الناس من کلا الطرفین حزازات کامنة فی صدورهم کانت سببًا لحدوث
حزبین متقابلین یُسمّی احدهما الشعوبیّة وهی التی تحتقر العرب وترمیه
بکل معیبة حتّی ان ابا عبیدة صنّف کتبًا عدیدةً یطعن فیها علی انساب
کل قبیلة من قبایل العرب، والثانی المتعصّبون للعرب وقد عقد
العلّامةُ ابن عبدِ ربّه فی کتابه العقد الفرید بابًا فی بحج کلا الطرفین

واقوالهما ومعظم ما نقله المؤلف في اثبات عصبية العرب هي اقوال ذكرها صاحب العقد في هذا الباب كما لوّح به المؤلف في هامش الكتاب. واذا تصفحت الكتب يظهر لك ان الاقوال التي نسبها الى العرب عموماً انما هي اقوال شرذمة خاصة موسومة باصحاب العصبية وصاحب العقد حيثما ذكر هذه الاقوال صدّرها بقوله "قال اصحاب العصبية من العرب" وانت تعلم ان هذه العصبية ليست كافّة العرب ولا اكثرها بل لا عشر معشارها فانك سترى ان هؤلاء اناس شرذمة مغمورون في الناس، ثم ان المؤلف ما اقتنع بذلك بل ربّما نسب قول رجل معيّن معلوم الاسم الى العرب عامة،

فقال ناقلا عن كتاب العقد "وكانوا يكرهون أنْ يصلوا خلف الموالي وَاذا صَلّوا خلفهم قالوا انّا نفعلُ ذلِكَ تواضعاً لِلّهِ" فان صاحب العقد نسب هذا القول الى نافع بن جبير فاخذه المؤلف وجعله قولا عاما للعرب وهذه الصنيعة اعني تعميم الواقعة الجزئية هي اكبر الحيل التي يرتكبها المؤلف لترويج باطله بل هي قطب رحى تاليفه،

قال المؤلف "فادرك معاوية الخطر من تكاثرهم على دولة العرب فهمّ أن يأمر بقتلهم كلهم او بعضهم" (الجزء الرابع صفحة ٥٩) ان نص معاوية الذي نقله المؤلف بعد هذه العبارة هو هذا، "كاني انظر الى

وثبة منهم على العرب والسلطان فرايتُ اَنْ اَقتل شطرًا وَاَدَعَ شطرًا" فانت
ترى ان الرواية على تقدير صحتها ليس فيها الا ان معاوية راى ان يقتل
شطرًا منهم ولكن المولف زاد على العبارة و قال ان معاوية همّ ان
يامر بقتلهم كُلّهم ـ

قال المؤلف فكانوا يعتقدون ان الفالج لا تصيب ابدانهم" (الجزء
الرابع صفحة ٦٠)

استشهد فى هذه الدعوى بطبقات الاطباء كما لوّح فى هامش الكتاب
وايم الله لو كنت تقف على عبارة الطبقات لوقعت فى شدّ حيرة من اجتراء
المؤلف على قلب الحكاية وتغير الرواية، ذكر صاحب الطبقات تحت ترجمة
عيسى الطبيب الراجح انه نصرانى "انّ المهدى ضربه فالج فحضر المتطببون
ومنهم عيسى صاحب الترجمة فقال المهدى بن المنصور بن محمد بن على
بن عبد الله بن عباس يضربه فالج لا والله لا يضرب احدًا من هؤلاء
ولا نسلهم فالج ابدًا الا ان يبذروا ابذورهم فى الروميات والصقلبيات
وما اشبههن"

قد نقل صاحب الطبقات بعد الحكاية المذكورة عن يوسف
الطبيب ان ابراهيم بن المهدى لما اعتل بعلة شبيهة بالفالج ودعا
يوسف وقال له ما العلة عندك فى عرض هذه العلة بى علمت انه كان حفظ

عن امه قول عیسیٰ ابی قریش فی المهدی وولده انه لا یعرض لعقب الفالج الا ان یبذروا بزورهم فی الرومیات وانه قد اَمّل ان یکون الذی به فالجاً لا عارض الموت "فقلتُ لا اعرف لانکارك هذه العلة معنًی اذا کانت اُمّك التی قامت عنك دنباوندیة ودنباوند اشدُّ بردًا مِن کل اَرضِ الرُّوم فکانه تفرّج الی قولی وصدّقنی واظهر السرور"

فانت تریٰ ان الظن ببراءتهم عن الفالج انما کان مبناه حرّ ارض العرب ولیس له ادنیٰ مساسٍ بشرف النسل ولو کان کما یتبادر الی الذهن من علا سماء اٰباء المهدی فهو یختص بعایلة النبی علیه السلام لا یفهم منه العموم مطلقا ولذلك لما ذکر لابراهیم (وهو ابن الخلیفة مهدی) ان اُمّه من دنباوند وهو اشدُّ بردًا من ارض الروم، ذهب عنه استغرابه عروض الفالج له،

فانظر کیف کان مجری الحکایة فغیّرها المؤلف وارتکب لذلك خیانات تتریٰ

ثم ان هذا قول عیسیٰ الطبیب ولا یدری انه عرب ام لا وغالب الظن انه نصرانی وهب انه عرب فهو رجل من حاشیة الدولة یرید التزلف الی الخلیفة والتملق له فهل یکون قوله قول العرب کافّة

قال المؤلف "ومنعوا غیر العرب من المناصب الدینیة المهمة کالقضاء فقالوا لا یصلحُ للقضاء الا عربیٌّ" (الجزء الرابع صفحہ ٦) واسند هذه الروایة الی ابن خلکان

حقيقة هذا القول ان الحجاج لما اسر سعيد بن جبير التابعی المشهور وكان من الموالی قال له ممتنا عليه اما جعلتك اماما للصلوة فی الكوفة ولم يكن فی الكوفة الا العرب قال ابن جبير نعم ثم قال له الحجاج اليس انی لما اردت ان اوليك قضاء الكوفة ضجت العرب وقالوا لا يصلح للقضاء الا عربی وقد ذكر الرواية ابن خلكان بطولها ولا يخفی عليك ان كوفة لم يكن اذ ذاك فيها الا العرب وظاهر ان القضاء لا يصلح له الا من كان عارفا بعوايد الامة مطلقا على خصايصهم وكيفية تعاملهم فيما بينهم وسعيد بن جبير لم يكن من العرب ولو كان استنكاف اهل كوفة من قضاية لاجل كونه من الموالی ستنكفوا من امامته للصلوة فان الامامة اعظم شرفا وارفع محلا من القضاء وهذا ابو حنيفة كان من الموالی ارادوا ان يولوه القضاء فی عصر بنی امية فامتنع ولم يرض بذلك وقد ذكر الواقعة ابن خلكان مفصلا،

قال المؤلف "وحرموا منصب الخلافة على ابن الامة ولو كان قرشيا"

نعم ولكن لم يكن هذا للاستهانة به قال الاصمعی[1] كانت بنو امية لا يبايع لبنی امهات الاولاد فكان الناس يرون ان ذلك للاستهانة بهم ولم يكن لذلك ولكن لما كانوا يرون ان زوال ملكهم على يد ابن ام ولد" اما ما استدل به المؤلف من قول هشام بن عبد الملك لزيد بن على

[1] انظر الجزء الثانی من العقد الفريد طبع مصر صفحة ٣٣٠

انك ابن امة ولذلك لاتصلح للخلافة فقد رد عليه زيد وقال ان اسماعيل كان ولد الجارية وكان سيد البشر محمد من سلالته ومن المعلوم ان زيدا وهو ابن الامام زين العابدين ارفع شانا واعظم محلا واطيب ارومة واصدق قولا من هشام ثم لوكان هذا الامر حقا ما كانوا يولون الخلافة يزيد بن الوليد الاموى ومروان الحمار وهما ابنا امة،

ولما فرغنا عن ابداء شطر من خيانات المؤلف ليكون كالعنوان على دابه فى تاليفاته حان لنا ان نحقق اصل المسئلة اى ان العجم والموالى هل كانوا آذلاء ساقطين مرذولين يعاملون معاملة العبيد فى عصر بنى امية كما يدعيه المؤلف او كانوا بمحل من الشرف والعزة يعترف لهم العرب بالفضل والسودد ويوثق لهم او فى قسط والمَلحق اعلم ان البلاد التى كانت عواصم الاقاليم وقواعدها فى عصر بنى امية هى مكة والمدينة والبصرة والكوفة واليمن ومصر والشام والجزيرة وخراسان وكان لكل هذه الاصقاع امام يقودهم ويسود عليهم وهذه اسماءهم،

مكة المشرفة،	عطاء بن ابى رباح هو استاذ الامام ابى حنيفة
يمن	طاؤس،
الشام	مكحول،

مصر، یزید بن ابی حبیب،

الجزیرۃ، میمون بن مهران،

خراسان، ضحاک بن مزاحم،

البصرۃ الامام الحسن البصری،

الکوفۃ، ابراهیم النخعی،

وکل هؤلاء غیر ابراهیم النخعی کانوا الموالی وبعضهم ابناء الاماء ومع کونهم اعجاما وکونهم اولاد الاماء کانوا سادۃ الناس وقادتهم تذعن لهم العرب وتحترمهم خلفاء بنی امیة وولاۃ الامر،

فاما عطاء بن ابی رباح فمع کونه ابن سندیة کان شیخ الحرم الیه المرجع فی الفتوی وعلیه المعول فی المسایل، قال ابن خلکان فی ترجمته قال ابراهیم بن عمرو بن کیسان اذکرهم فی زمان بنی امیة یامرون فی الحج صایحا یصیح لا یفتی الناس الا عطاء بن ابی رباح، وهل یمکن ان ینادی بمثل ذلک من غیر رضی الخلفاء واما طاؤس فلما قضی نحبه بمکة ازدحم الناس فی جنازته حتی تعذر الصلوۃ علیه وکان ابراهیم بن هشام اذ ذاک والیا علی مکة فاستعان بالشرطة ومشی فی جنازته عبد الله ابن الامام حسن علیه السلام واضعا نعشه علی عاتقه وصلی علیه الخلیفة هشام بن عبد الملک الاموی ذکر کل هذا العلامة

ابن خلکان فی ترجمة طاؤس فهل یکون منزلة اعظم من ذلك،

واما مکحول الشامی فاحد الائمة المتبوعین وقال الزهری العلماء اربعة فلان وفلان ومکحول واما یزید بن ابی حبیب فهو الذی ارسله عمر بن عبد العزیز لیفقه الناس فی مصر ویفتیهم فی المسایل وهو المعلم الاول لهم کما صرح بذلك السیوطی فی حسن المحاضرة واما میمون بن مهران فمع فضیلته وسیادته کان امیرًا علی الخراج فی الجزیرة کما صرح به ابن قتیبة فی المعارف اما حسن البصری فحدث عن البحر ولا حرج، یذعن له الملوك والسادة والقواد وعلیه المعوّل والیه المنتهی،

ذکر السخاوی فی شرح الفیة الحدیث للعراقی (طبع لکهنؤ صفحه ۳۹۹و۳۹۹)

انّ هشامًا قال للزهری من یسود اهل مکة قال عطاء قال بم سادهم قال بالدیانة والرّوایة قال هشام نعم من کان ذادیانة حُقّت الریاسة له ثم سأل عن یمن قال طاؤس وکذلك سأل عن مصر والجزیرة وخراسان والبصرة والکوفة فاخذ الزّهری یعد اسماء سادات هذه البلاد وکُلّما سمّی رجلًا کان هشام یسأل هل هو عربیّ ام مولًی وکان یقول الزهری مولًی الی ان اتی علی النخعی وقال انه عربی فقال هشام الأن فرجت عنی والله لیسودنّ الموالی العرب ویخطب لهم علی المنابر والعرب تحتهم"

انّ التابعین لهم اعلی محل فی تاریخ الاسلام ـ وراسهم

سعيد بن جبير وهو اسود وقد ولاه حجاج بن يوسف امامة الصلوٰة فى الكوفة كما ذكره ابن خلكان فى ترجمته والكوفة اذ ذاك جمجمة العرب وقبة الاسلام وهل يصح بعد ذلك دعوى لمؤلف ان العرب كانت تستنكف عن الصلوٰة خلف الموالى،

وهذا سليمان الاعمش استاذ الثورى كان عبدا عجميا وكان بمنزلة من العز والشرف انه لما كتب اليه الخليفة هشام بن عبد الملك ان يكتب له مناقب عثمان ومساوى علىٍ اخذ كتاب هشام والقمه عنزا كان عنده وقال للرسول قل لهشام هذا جواب كتابك (ابن خلكان ترجمة الاعمش)

وهذا حمّاد الراوية الّذى دوّن المعلقات وله المكانة الكبرى فى الادب والشعر كان عبدا اسود وكانت ملوك بنى امية تقدمه وتؤثره وتستزيره كما ذكره ابن خلكان،

وهذا سالم بن عبد الله بن عمر كان ابن امة ولما دخل الخليفة هشام بن عبد الملك المدينة ارسل اليه يدعوه فاعتذر فدخل عليه هشام ووصله بعشرة الاف ثم لمّا حجّ ورجع كان سالم اذ ذاك مريضا فذهب لعيادته ولمّا توفّى صلّى عليه وقال لا ادرى باىّ الامرين انا اسرّ بحجتى ام بصلوتى على سالم، سله

سله عقد الفريد ترجمة هشام بن عبد الملك

النص القاطع في هذا البحث

ذكر ابو العباس المبرّد في كامله ما هو قول فصل في هذا الباب لا يدع مجالا للريب، ولا متسعا للشك، قال

"وانما ذكرنا هذا لتقدم قريش في اكرام مواليها، ولّى رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش موتة زيدا مولاه... وامّر رسول الله اسامة بن زيد فبلغه ان قوما قد طعنوا في امارته فقال لقد طعنتم في امارة ابيه وقد كان لها اهلا وان اسامة لها لاهل، وقالت عائشة لو كان زيد حيا ما استخلف رسول الله غيره وقال عبد الله بن عمر لابيه لم فضلت اسامة عليّ وانا وهو سيّان فقال كان ابوه احب الى رسول الله من ابيك وكان احبّ الى رسول الله منك واوصى رسول الله بعض ازواجه لتميط عن اسامة اذى من مخاط اولعاب فكانها تكرهته فتولى منه ذلك رسول الله.... وكان ادّى الى بني قريظة مكاتبة سلمان فكان سلمان مولى رسول الله فقال علي بن ابي طالب رض سلمان منا اهل البيت، ويروى ان المهديّ نظر اليه ويد عمارة ابن حمزة في يده فقال له رجل من هذا يا امير المومنين فقال اخي وابن عمي عمارة بن حمزة فلمّا ولّى الرجل ذكر ذلك المهديّ كالممازح لعمارة فقال لعمارة انتظرت ان تقول "ومولاي" فانفض والله يده من بين يدي فتبسم امير المؤمنين المهدي ولم يكن الاكرام للموالي في جفاة العرب. زعم الليثي انه كانت بين جعفر بن سليمان وبين مسمع بن كردين منازعة وبين يدي مسمع مولى له، له بهاء ورواء ولسن فوجّه جعفر مولى له لينازعه ومجلس مسمع حافل فقال ان انصفني والله جعفر انصفته وان حضر حضرت معه وان عند عن الحق عندت عنه وان وجّه الى مولى مثل هذا واومأ الى مولى جعفر فقال مولى مثل هذا عاضّا

لما يكره وجهت اليه واوما الى مولاه فعجب اهل المجلس من وضعه مولاه ذلك الذى
تبها بمثله العرب فى قيل لرجل لابيه والمولى لمواليه فى بعض الاحاديث ان المعتق من فضل
طينة المعتق ويروى ان سلمان اخذ من بين يدى رسول الله تمرة من تمرات الصدقة
فوضعها فى فيه فانتزعها رسول الله فقال يا اباعبدالله انما يحل لك من هذه ما يحل لنا
ويروى ان رجلا من موالى بنى مازن يقال له عبدالله بن سليمان وكان من جلة الرجال
نازع عمرو بن هداب المازنى وهو فى ذلك الوقت سيد بنى تميم قاطبة فظهر عليه المولى
حتى اذن له فى داره فادخل لفعلة دار عمرو فلما قلع من سطحه سافا كف عنه ثم
قال يا عمرو قد اريتك القدرة وساريك العفو وقد كان فى قريش من فيه جفوة
ونبوة كان نافع بن جبير احد بنى نوفل بن عبد مناف اذا مر عليه بالجنازة سال عنها
فان قيل قريش قال واقوماه وان قيل عربى قال وابلاداه وان قيل مولى وعجمى قال
اللهم هم عبادك فاخذ منهم من شئت وتدع ويروى ان ناسا من بنى الهجيم بن عمرو
بن تميم كان يقول فى قصصه اللهم اغفر للعرب خاصة وللموالى عامة فاما العجم فهم
عبيدك والامر اليك وقال الاصمعى قال سمعت اعرابيا يقول لاخر اترى هذه العجم
تنكح نساءنا قال ارى ذلك والله بالاعمال الصالحة قال توطأ والله رقابنا قبل
ذلك" انتهى (صفحة ۱۰ و ۱۱ و ۱۲، طبع اوربا)

تدل هذه النصوص على امور:

۱- ان اكرام الموالى كان من ديدن العرب عامة وقريش خاصة۔

۲- لم يكن الاكرام للموالى واكثرهم العجم عند جفاة العرب ونباتها كما لم يكن الاكرام للعرب عند الشعوبية واكثرهم العجم

۳- كان نافع بن جبير وامثاله من جفاة العرب فلا يصح الاستدلال باقوالهم على

ولو اخذنا فی تعداد امثال هذه الوقایع لطال الکلام ومل الناظرون
ویظهر مما مرّ علیك ان الموالی کانوا فی ایام بنی امیة باعلی محل من
الشرف والمکانة وکانت العرب تذعن لهم وتقدّمهم وتقتدی بهم
وترفع شأنهم، فهل یصح قول المؤلف بعد ذلك ان الموالی وابناء الاماء کانوا
فی عصر بنی امیة مرذولین ساقطین یُزدری بهم ولا یقام لهم وزنٌ وکان
العرب وبنو امیة یعاملونهم معاملة العبید،

| مثالب بنی امیة | المقصد الذی جعله المؤلف نصب عینه ومرمی غایته هو
ان الامة العربیة اذا بقیت علی صرافتها فهی جامعة لجمیع اشتات الشر ای
الجور والقسوة والهمجیة وسفك الدماء والفتك بالناس ولکن لما کان
لا یقدر علی اظهار هذا المقصد تصریحا احتال فی ذلك فغمّض لمذهب جعل
الکلام طیّب الظاهر وذلك بان قسّم عصر الاسلام الی ثلثة ادوار ـ فمدح
سیاسة الخلفاء الرشدین وقال بعد مدحها .

علی ان سیاسة الراشدین علی الاجمال لیست مما یلائم طبیعة العمران او
تقتضیه سیاسة الملك وانما هی خلافة دینیة توقفت الی رجال یندر
اجتماعهم فی عصر ـ فاهل العلم بالعمران لایرون هذه السیاسة
تصلح لتدبیر الممالك فی غیر ذلك العصر العجیب وان انقلاب تلك الخلافة
الدینیة الی الملك السیاسی لم یکن منه بد (الجزء الرابع، صفحہ ۳۰ و ۲۹)

فاثبت بذلك ان سياسة الخلفاء الراشدين ليست فيها اسوةٌ للناس وانها من مستثنيات الطبيعة، اما دور العباسيين فمدحه ولكن لا لاجل انّه دولةٌ عربيّة بل لكونها فارسية مادّة وقواماً موتلفاً ونظاماً وصرّح بذلك فقال:

دعونا هذا العصر فارسيا مع انه داخل فى عصر الدولة العباسية لان تلك على كونها عربية من حيث خلفاءها ولغتها ودياناتها فهى فارسيّة من حيث سياستها وادارتها لان الفرس نصروها وايدوها ثم نظموا حكومتها وادارو شيونها ومنهم وزرائها وأمراؤها وكتابها وحجابها،

(الجزء الرابع صفحه ١٠٦)

ثم اشار فى غير موضع ان الدولة العربيّة السّاذجة انما هى دولة بنى اُميّه فقال:

"وجملة القول ان الدولة الاموية دولة عربية" (الجزء الرابع صفحه ١٠٣)

"وظل العرب فى ايام بنى امية على بداوتهم وجفاوتهم وكان خلفاءها يرسلون اولادهم الى البادية لاتقان اللغة واكتساب اساليب البدو وادابهم (الجزء الرابع صفحه ٦١)

ولما ثبت ان خلافة الراشدين لم تكن يلايم النظام الطبعى وان دولة بنى العباس دولة فارسية وان الباقى على صرافتها هى الدولة الاموية

اخذ يعدد مثالب بني امية تحت عنوانات مستقلة منها الاستخفاف بالدين واهله ومنها الاستهانة بالقرآن والحرمين ومنها الفتك والبطش ومنها قتل الاطفال ومنها خزانة الرؤس واتى فى مطاوى هذه العنوانات من الافك والاختلاق والتحريف والتبديل بما تجاوز الحد وخرج عن طور القياس والآن اذكر نبذاً منها واكشف عن جلية حالها،

الاستهانة بالقرآن والحرمين، قال المؤلف تحت هذا العنوان،

أما عبد الملك فكان يرى الشدة ويجاهر بطلب التغلب بالقوة والعنف ولو خالف الدين .. لانه صرح باستهانة الدين منذ ولى الخلافة .. ذكروا انه لما جاؤه بخبر الخلافة كان قاعداً والمصحف فى حجره فاطبقه وقال هذا آخر العهد بك او هذا فراق بيني وبينك فلا غرو بعد ذلك اذا اباح لعامله الحجاج ان يضرب الكعبة بالمنجنيق وان يقتل ابن الزبير ويحتز راسه بيده داخل المسجد الكعبة .. وظلوا يقتلون الناس فيها ثلاثاً وهدموا الكعبة وهي بيت الله عندهم واوقدوا النيران بين احجارها واستارها (الجزء الرابع صفحة ٧٨ و ٧٩)

الحكاية على الاجمال ان ابن الزبير ادعى الخلافة فملك الحرمين والعراق وكاد يغلب على الشام وكان امره كل يوم في ازدياد وبازائه بنو امية في الشام فلما تولى عبد الملك الخلافة ارسل الحجاج الى ابن الزبير فحاصره ولاذ ابن الزبير

بمكة فنصب الحجاج المنجنيق على الزيادة التي كان زادها ابن الزبير كما يجي تفصيله
يعرف كل من له ادنى المام بالتاريخ ان الحجاج ما اراد الا قتال ابن الزبير
ولكونه لائذاً بالكعبة اضطرّ الى نصب المنجنيق على الكعبة ولكن مع ذلك تحرز
عن رمي الكعبة فحوّل وجهها الى زيادة ابن الزبير فانظر كيف غيّر المؤلف مجرى
الحكاية فصدّر الباب بالاستهانة بالقرآن والحرمين ثم ذكر ان عبد الملك قال
للقرآن هذا فراق بيني وبينك وانه اباح للحجاج ضرب الكعبة بالمنجنيق وهدم
الكعبة وايقاد النيران بين استارها فالناظر في عبارته يتوهّم بل يستيقن ان
عبد الملك تفرّغ من بدء الامر للاستهانة بالدين والقرآن والحرمين وجعل
الاستهانة نصب عينه ومرمى غايته وقتل ابن الزبير كان اما لانه دافع عن مكة او
لكونه ايضاً من جنس الاستهانة بالحرم **اما** تفصيل الواقعة وتعيين بادئ الظلم
فهو انّ ابن الزبير لما استولى على الحرمين اخرج بني امية من المدينة فخرج مروان
وابنه عبد الملك وهو عليلٌ مجدّرٌ فاستولى على الشام وصدّهم عن ابن الزبير
افعالٌ نقموا عليه لاجلها فمنها انه تحامل على بني هاشم واظهر لهم العداوة[1] والبغضاء
حتى انه ترك الصلوة على النبي في الخطبة ولما سألوه عن هذا قال ان للنبي اهل
سوء يرفعون رؤوسهم اذا سمعوا به[2] ومنها انه هدم الكعبة ومع ان هدمها لم يكن
الا لرمّتها واصلاحها ولكن لم يكن هذا مالوفاً للناس ولذلك تحرز النبي عليه السلام

[1] اليعقوبي طبع يورپ صفحة ٣١١ من الجزء الثاني [2] الجزء الثاني من اليعقوبي صفحة ٣١١ -

عن ادخال الحطيم فی الکعبة فاتخذ الحجاج هذه الامور وسیلة لاغواء الناس علی ابن الزبیر ولعل ابن الزبیر کان مضطرا الی هذه الاعمال ولکن من شریطة العدل ان نوفی کل احد قسطه من الحق فاذا اعتذرنا لابن الزبیر فعبد الملک احق منه اعتذارا فان ابن الزبیر هو البادئ والبادئ اظلم ویظهر من هذا ان عبد الملک ما اراد الحط من شان الکعبة ومس شرفها ولکن اضطر الی قتال ابن الزبیر فوقع ما وقع عرضا غیر مقصود بالذات ولذلک لما نصب الحجاج المناجیق علی الکعبة حولها عن الکعبة وجعل الغرض الزیادة التی کان زادها ابن الزبیر صرح بذلک العلامة البشاری فی احسن التقاسیم نجزات من مسایل الفقه ان البغاة اذا تحصنوا بالکعبة لا یمنع هذا عن قتالهم ولذلک امر النبی فی فتح الفتح بقتل احدهم وهو متعلق باستار الکعبة وابن الزبیر کان عند اهل الشام من البغاة والمارقین عن الدین

ولو کان اراد الحجاج الاستهانة بالحرم لما کان مراده من رمته واصلاحه بعد قتل ابن الزبیر ومعلوم ان تعمیر الحجاج هو الیوم کعبة الاسلام وقبلة المسلمین کافة

اما قول عبد الملک للقران هذا فراق بینی وبینک، فحقیقته ان عبد الملک کان قبل الخلافة ناسکا منقطعا الی العبادة لا یشتغل بشیء من الدنیا قال نافع ما رایت فی المدینة اشد نسکا وعبادة من عبد الملک ولما سألوا ابن عمر الی من نرجع فی الفتوی بعد اشتال ولد لمروان وکان یقول ابن الزناد الفقهاء فی المدینة سبع احدهم عبد الملک وقال الامام الشعبی ما جالست احدا الا وجدت

عليه لفضل الا عبد الملك بن مروان، ذكر كل هذه الاقوال العلامة السيوطی فی تاريخه الخلفاء فلما جاءته الخلافة وهو يقرء القرآن تصور خطارة الامر وان مثل هذا العبأ لا يمكن تحمله الا المنقطع اليه فقال تحترا هذا اخر العهد بك ای الآن لا يمكن الانقطاع الی العبادة وقراءة القرآن كما كان دابه اولا وليس هذا علی سبيل الاستهانة بالدين مطلقا فانا نری اشتغال عبد الملك بالفرائض والسنن فيما بعد فهو يصوم ويصلی ويحج قال اليعقوبي فی تاريخه واقام الحج للناس فی ولايته سنة ٧٢ الحجاج بن يوسف وسنة ٧٣ وسنة ٧٤ الحجاج ايضا وسنة ٧٥ عبد الملك بن مروان وسنة ٧٦ ابان بن عثمان بن عفان، وسنة ٧٧ ابان ايضا وسنة ٧٨ وسنة ٧٩ وسنة ٨٠ ابان ايضا وسنة ٨١ سليمان بن عبد الملك (وسرح باقی السنوات فتركناها) وعبد الملك هو الذی كسا الكعبة الديباج فهل هذا صنيع من يريد الاستهانة بالحرم،

قال المولف،

"ويحتز راسه بيده داخل مسجد الكعبة" (الجزء الرابع صفحة ٩)

استند المؤلف فی هذه الرواية بالعقد الفريد لابن عبد ربه والاستناد بمثل هذه الكتب فی مثل هذه الوقايع هو من احدی حيل المولف المعتادة بها فانت تعلم ان حادثة قتل ابن الزبير مذكورة فی الطبری وابن الاثير وغيرها من المصادر التاريخية المتداولة الموثوقة بها وعليها المعول واليها المرجع لكن لما لم يكن كيفية الحادثة فی هذه الكتب وفق هوی المؤلف اعرض عن هذه كلها

وتشبث بكتاب هو فی عداد المحاضرات انما يرجع الی امثال ذالو مكين فی الباب مستند غيره ومتی مالم يخالف الاصول، والمذكور فی الطبری وغيره ان عبد الله بن الزبير اصيب فی الحجون وقتل هنالك، قتله رجل من المراد وما احتز راسه داخل الكعبة،

قال المؤلف "وهدموا الكعبة"،

قد مثا ان الكعبة لم تكن غرضا للحجاج وانما كان نصبا لمنا جيق على الزيادة التی زادها ابن الزبير ولما كانت متصلة بالكعبة نال الاحجار من الكعبة ولكن بعد ما استتب القتال اول ما فعله الحجاج كان امره بكنس المسجد الحرام من الحجارة والدم كما نص عليه ابن الاثير فهل كنس المسجد الحرام من الحجارة والدم وهدم الكعبة شئ واحد،

اما ما نقل المؤلف عن كفر الوليد وانه امر بالمصحف فعلقوه واخذ القوس والنبل وجعل يرميه حتى مزقه وانشد،

اتوعد كل جبار عنيد	فها انا ذاك جبار عنيد
اذا لاقيت ربك يوم حشر	فقل لله مزقنی الوليد

ونقل هذه الرواية عن الاغانی فهی من خرافات الاغانی ومعلوم ان صاحب الاغانی شيعی، ديانته شنان بنی امية والحط منهم اما الابيات فاثر التوليد ظاهر عليها ومن له ادنی مسكة بالادب يشهد ان نسجها غير نسج الاوائل، فاما جهابذة المحدثين المرجوع اليهم فی نقل الروايات والذين

قولهم فصل فی هذا الباب فیجد من امثال هذه الروایات المختلفة قال العلامة الذهبی وهو راس الحدیث ومرجع الروایة "لم یصح عن الولید کفر ولا زندقة بل اشتهر بالخمر والتلوط فخرجوا علیه لذلک"، (تاریخ الخلفاء للسیوطی ترجمة الولید)

ثم ان هنالک امر اخر وهو ان الناقم علی الولید وقاتله هو خلیفة اموی، فکیف ینسب استهانة الدین الی خلفاء بنی امیة عامتهم ثم ان هذا الذی عزا الیه صاحب الاغانی الاستهانة بالقرآن قد ذکر له صاحب العقد ما ینبئ عن تعظیمه للقرآن وتفخیمه شانه وحث الناس علی حفظه وتعهده قال صاحب العقد انه شکا رجل من بنی مخزوم دینا لزمه فقال (الولید) اقضیه عنک ان کنت لذلک مستحقا قال یا امیر المومنین کیف لا اکون مستحقا فی منزلتی وقرابتی قال قرأت القرآن قال لا قال فادن منی فدنا منه فنزع العمامة عن راسه بقضیب فی یده فقرعه قرعة وقال لرجل من جلسائه ضم الیک هذا العلج ولا تفارقه حتی یقرء القرآن فقام الیه اخر فقال یا امیر المومنین اقض دینی فقال له اتقرء القرآن قال نعم فاستقراه عشرا من الانفال وعشرا من براءة فقرء فقال نعم نقضی دینک وانت اهل لذلک"، فانت تری ان الولید یعد من لا یقرء القرآن علجا والمولف یعد الولید علجا،

فاما ما ذکره المولف من اقوال الحجاج وخالد القسری انهما کانا

العقد الجزء الثانی صفحہ ٢٥٨

يفضلان الخلافة على النبوة فمع ان اكثر هذه الاقوال مأخوذ من العقد الفريد
وهو من كتب المحاضرات لسنا نحتاج الى الذب عن الحجاج وخالد فانهما من
اشرار الامة حقًّا ولكن كم لنا من امثال هؤلاء الملاحدة فى الدولة العباسية
كالجهارذة وابن الراوندى الذى عمل كتابا ردّ فيه على القرآن وسماه بالدامغ فاذا
كان العباسية غير مسئولين عن اوزار هؤلاء عند المؤلف فكذلك بنو امية
وان كان عبد الملك والوليد يرتضيان بسوء اعمال الحجاج فمعلوم ان غيرهما
من بنى امية كانوا ناقمين عليه كافة حتى ان هشاما قال "هذا الحجاج استقرّ فى
جهنم او يهوى الى الآن" ولما وصل هشام ان خالد القسرى استخفّ بامرءة
مومنة عزله عن الامارة وسجنه كما ذكره ابن خلكان،

والحاصل ان المؤلف ان خص رجلا او رجلين من بنى امية بالطاعن لاعترفنا به
ولكن من سوء مكيدة المؤلف انه يجعل الفرد جماعةً والفذّ نوعًا والنادر عامًا،
والشاذ مطردا۔

جور بنى امية سمعنا بمظالم بخت نصر وَاَحطنا علمًا بشنايع چنگيز خان واطّلعنا
على ما جنته ايدى **التتر** فوالله (لو صدق المؤلف) هم كانوا اشد قسوة
ولا افظع اعمالا ولا اسفك دماءً ولا اجمع لانواع الفتك من بنى امية،

قال المؤلف' حتى فى ايام معاوية فانه ارسل بسر بن ارطاة **
وارسل معه جيشا ويقال انه (اى معاوية) اوصاهم ان يسيروا

في الارض ويقتلوا كل من وجدوه من شيعة عليٍ ولا يكفوا ايديهم عن النساء

والصبيان (الجزء الرابع صفحة ٥٢)

قبل ان الكشف عن جلية الامر لابد من تقديم مقدمة: وهي ان المؤلف

مدح بني العباس وجعل اعمالهم مناط العدل ودلالة على الرفق فقال:

ولا غرابة فيما تقدم من عمران البلاد في ظل الدولة العباسية فان العدالة

توطد دعائم الامن واذا امن الناس على ارواحهم وحقوقهم تفرغوا

للعمل فتعمر البلاد ويرفه اهلها ويكثر خراجها (الجزء الثاني صفحة ١٥)

وعلى هذا فاذا وجدنا بني امية معادلين لبني العباس في جميع اعمالهم سواءً بسواءٍ كان اختصاصهم بالذم دون بني العباس جورًا فاحشًا وميلًا عظيمًا، ثم ان هناك امرًا اخر وهو ان المورخين باسرهم كانوا في عصر بني العباس ومن المعلوم انه لم يكن يستطيع احد ان يذكر محاسن بني امية في دولة العباسيين فاذا صدر من احدٍ شيءٌ من ذلك فلته كان يقاسي قائلها انواعًا من الهتك والايذاء ووخامة العاقبة وكم لنا من امثال هذه في اسفار التاريخ، ومع اننا نقر بان مورخي الاسلام كانوا اصدق الناس رواية واجرءهم على اظهار الحق ما كان يمنعهم عن بيان الحقيقة سلطة ملكٍ ولا مهابة جائرٍ ولكن مع ذلك فرق بين تعمد الكذب والسكوت عن الحق ولذلك نعتقد انهم ما قالوا شيئًا افتراءً على بني امية ولكن ان قلنا انهم كثيرًا ما سكتوا عن محاسنهم فذلك شيء لا يدفع وليس فيه غضٌ منهم.

اما بنو العباس فكانوا فی عصرهم ولاة البلاد وملاك رقاب الناس رضاهم الحیوة وسخطهم الموت، فالوقیعة فیهم والاخذ علیهم ما کان یمکن الا بعد مخاطرة النفس والاقتحام فی الهلاک ونصب النفس للموت،

رجعنا الی قول المولف ان معاویة امر بقتل النساء والصبیان، اعلم ان هذه الواقعة ای ارسال بسر ابن ارطاة الی شیعة علیؑ من اشهر الوقایع المذکورة فی سایر کتب التواریخ ولیس فی احد منها قتل النساء والصبیان بل فیها ما یخالف هذه الروایة قال المورخ الیعقوبی "ووجه معاویة بسر بن ارطاة وقیل بن ارطاة العامری من بنی عامر بن لوی فی ثلثة الاف رجل فقال له سر حتی تمر بالمدینة فاطرد اهلها واخف من مررت بها وانهب مال من اصبت له مالا ممن لم یکن دخل فی طاعتنا واوهم اهل المدینة انک ترید انفسهم وانه لا براءة لهم عندک ×

× حتی تدخل مکة ولا تعرض فیهما لاحد وارهب الناس فیما بین مکة والمدینة

× ثم امض حتی تاتی صنعاء فان لنا بها شیعة وقد جاء فی کتابهم فخرج بسر فجعل لا یمر بحی من احیاء العرب الا فعل ما امره معاویة (الیعقوبی طبع اوربا صفحة ۲۳۱ من الجزء الثانی)

فتری فی هذه العبارة انه لم یکن هناک الا تخویف وتهدید وایهام لما رای المؤلف ان المصادر التاریخیة الموثوقة بها لا توجد فیها ما یوافق هواه جنح الی الاغا ونقل امر معاویة بقتل النساء والصبیان ثم اعتذر عن معاویة بان المظنون

خلاف ذلك لحلمه ودهائه والظن ان معاوية اطلق يد بسر ولم يعين لحدوده حدًّا وكان بسر سفاكًا للدماء فلم يستثن طفلا ولا شيخا"

قد قلنا ان الاغانى من كتب المحاضرات فاذا كان الامر هينا وكان الحديث فكاهة او تسليًا من كد العمل لى استراحة فلا باس به وبامثاله اما اذا كان الامر ذا بال وكان الواقعة معترك الاختلاف ومتعفر الاهواء را فعالشان اوهادمًا لاساس فامثال هذه الكتب لايوذن لها ولا يلتفت اليها مطلقا،

ثم ان الرجل (اى صاحب الاغانى) شيعيٌّ اذا جاءه شئٌ مما يشين معاوية ويدنيه وجد من نفسه ارتياحًا الى قبوله ولو كان من اوهن الاحاديث واكذبها،

نعم ان بسر بن ارطاة قتل طفلين ولكن القتل لم يتجاوز الاثنين فاين هذا من قول المولف،

"وكان بسر سفاكا للدماء فلم يستثن طفلا ولا شيخا"،

قال المولف "فاذا كان هذا حال العمال فى ايام معاوية مع حلمه وطول اناته فكيف فى ايام عبد الملك مع شدته وفتكه فهل يستغرب ما يقال عن فتك الحجاج وكثرة من قتلهم صبرًا ولو كانوا ١٢٠٠٠٠

(الجزء الرابع صفحة ٨٣)

نعم قتل الحجاج مائة الف اومائتين ولكن اين هذا من صنيعة ابى مسلم

الخراسانی القایم بدعوة بنی العباس المؤسس لدولتهم فانه قتل صبراً بدون حرب مایبلغ عدده ستمایة الف وقد اعترف به المولف فی هذا التالیف نفسه (الجزء الرابع صفحہ ١١٢) والمولف یحتال لذلك عذراً ویحسبه من طبیعة السیئاة فالحجاج احق بالعذر واجدر بالعفو فان الحجاج عربی قح طبعه الجفاء والقسوة اما ابومسلم فعجمی تربی فی حجر التمدن وغذی بلبان الظرف ودماثة الاخلاق،

اما قوله "عبد الملك كان اشد وطاةً منه" (ای من الحجاج) فلم یات علیه بشاهد غیر غدره بعمرو بن سعید واین هذا من غدر المنصور العباسی بابی مسلم الذی هو رب الدولة العباسیة ولولاه لما قامت للعباسیین قایمة ولا كان لهم ذكرٌ وكذلك غدر المنصور بابن هبیرة،

وغایة مایقضی منه العجب ان المولف بعد ما ذكر فتك بنی امیة بقوله "وقد نفعتهم هذه السیاسة (ای سیاسة الفتك) فی تائید سلطانهم ثم قال صارت سنةً فی من ملك بعدهم من بنی العباس وغیرهم" وانت تعلم ان المولف یبرئ ساحة العباسیة من الجور والظلم فضلاً عن الفتك فهل هذا تناقضٌ فی القول اواراد بهم نفعاً فضرهم من حیث لایعلم-لا والله لاهذا ولا ذاك بل هی من مكاید المولف التی لایهتدی الیه الافطنٌ خبیر بطویة الرجل وكامن ضغنه،

جور العمال / ذكر المولف تحت هذا العنوان انواعاً من الجور والشدة الصادرة من عمال بنی امیة ونحن نذكر بعضاً منها مع كشف الحقیقة،

قال یذکر جور العمال "واذا اتی احدهم بالدراهم لیودیها فی خراجه یقتطع الجابی منها طایفة ویقول هذا رواجها وصرفها" (الجزء الثانی صفحة ۲۲ واستند فی الهامش بکتاب الخراج لابی یوسف صفحة ۶۲)

ایها الفاضل المولف! الیس لک وازع من نفسک، الیس لک رادع من دیانتک. اتجترئ علی مثل هذا الکذب الظاهر والمین الفاحش جهرة فان القاضی ابا یوسف ما تکلم فی شان عمال بنی امیة ببنت شفة وانما ذکر عن عمال هرون الرشید واساءتهم العمل فی جبایة الخراج وکتاب الخراج لابی یوسف بین ایدینا وقد طبع فی مصر وتداولته الایدی وتناقلته الالسن،

قال المولف،

"وفی کلام القاضی ابی یوسف فی عرض وصیته للرشید بشان عمال الخراج ما یبین الطرق التی کان اولئک الصغار یجمعون الاموال بها فقال "بلغنی انه قد یکون فی حاشیة العامل والوالی جماعة منهم لربه حرمة ومنهم من له الیه وسیلة لیسوا بابرارٍ ولا صالحین یستعین بهم ویوجههم فی عماله یقتضی بذلک الذمامات فلیس یحفظون ما یوکلون بحفظه ولا ینصفون من یعاملونه انما مذهبهم اخذ شئ من الخراج کان او من اموال الرعیة ویقیمون اهل الخراج فی الشمس ویضربونهم الضرب الشدید ویعلقون علیهم الجرار ویقیدونهم بما یمنعهم من الصلوٰة وهذا عظیم

عند الله شنيع في الاسلام (الجزء الثاني صفحة ٣٢٣ و ٣٢٤ مستندًا الى كتاب الخراج صفحه ٦١ و ٦٢)

الله اكبر! هل سمع احدٌ باعظم من هذا التدليس والتلبيس يشتكي القاضي **ابو يوسف من عمال هرون الرشيد** ويرفع القضية اليه ويبين ما بلغه مما يرتكب عماله في اخذ الاموال من الرعايا، فياخذ المولف اقواله وينقلها من حيث انما هي الطرق التي كان عمال بني امية يجمعون الاموال بها، ها هو كتاب الخراج بايدينا قرءناه وقلبناه ظهرًا عن بطنٍ وكررنا فيه النظر لا كرّة او كرّتين بل مرات متوالية متتابعة فما وجدنا فيه كلمة في شان عمال بني امية وانما قال ما قال ابو يوسف يعظ الرشيد بما بلغه عن عماله الى ان خاطبه بقوله،

فلو تقربت الى الله عز وجل يا امير المومنين ابا الجلوس لمظالم رعيتك في الشهر او الشهرين مجلسا واحدا تسمع فيه من المظلوم وتنكر على الظالم رجوتُ ان لا تكون ممن احتجب عن حوائج رعيته ولعلك لا تجلس الا مجلسا او مجلسين حتى يسير ذلك في الامصار والمدن فيخاف الظالم وقوفك على ظلمه فلا يجترئ على الظلم ۔ ۔ مع انه متى علم العمال الولاة انك تجلس للنظر في امور الناس يوما في السنة ليس يوما في الشهر تناهوا باذن الله عن الظلم وانصفوا من انفسهم (كتاب الخراج صفحة ٦٣ و ٦٤)

لا فُضّ فوك يا ابا يوسف! فقد صدعت بالحق وامرت بالمعروف واجترءت على النهى عن المنكر واخذت على ملكٍ جبارٍ كهرون الرشيد صاحب النكبة بالبرامكة وما اكبر جرأتك ايها الفاضل (جرجى زيدان) تتبعت سيرة عمال بنى امية وبالغت فى الامعان وكابدت فى ذلك محنة التقصى فاعوزك كل هذا وما وجدت فى اعمالهم شيئا من مثل تلك الفظايع فعمدت الى سيرة عمال الرشيد واوهمت الناظرين انها سيرة عمال بنى امية،

قال المولف وكان العمال لا يرون حرجا فى ابتزاز الاموال من اهل البلاد التى فتحوها عنوة لاعتقادهم انها فئ لهم كما تقدم (الجزء الرابع صفحة ٥)

الذى اشار اليه بقوله "تقدم" هو قوله فى الجزء الثانى وهذا نصته

" وكان من جملة نتايج تعصب بنى امية للعرب واحتقارهم ساير الامم انهم اعتبروا اهل البلاد التى فتحوها وما يملكون رزقا حلالا لهم يدل على ذلك قول سعيد بن العاص عامل العراق ما السواد الا بستان قريش ما شئنا اخذناه منه وما شئنا تركناه وقول عمرو بن العاص لصاحب اخنا لما ساله عن مقدار ما عليهم من الجزية فقال عمرو انما انتم خزانة لنا ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم (الجزء الثانى صفحة ١٩)

تشبث المؤلف بهذه الاقوال فى غير موضع مستدلا على ان العرب وبنى امية كانوا يتصرفون على اموال الناس كيفما شاؤا ظنا منه ان اموالهم

واعراضهم اُبيحت لهم مطلقاً۔

حقيقة القول انه لما فتحت البلاد فى خلافة **الفاروق** تقدم بعض الصحابة كعبدالرحمن بن عوف وبلال وغيرهما وقالوا ان الارض مقسومه بيننا كما قسم رسول الله خيبر وكان الفاروق رأى غير هذا فقام النزاع حتى وُفّق الى الاستناد بنصّ القرآن فسكتوا ورضوا والقصّة مذكورة بتفاصيلها فى كتاب الخراج للقاضى ابى يوسف ثم ان بعض البلاد فُتحت صلحاً فمتى كان الخراج او الجزية شيئاً مُسمًّى مُعيّناً ما كانوا يرون الزيادة عليه وان اكثرت الارض خيراتها وزادت غلاتها وفتح بعضها عنوة فكان الخراج او الجزية عليها بقدر النقص و الزيادة وهذا هو قول عمرو " ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم " وقد اشار الى ذلك المقريزى فى تاريخه والعلامة السيوطى فى حسن المحاضرة فاما قول سعيد بن العاص الذى استند به المولف فتحريف الكلام عن موضعه على جارى عادته فان المولف نقل هذه الرواية من الاغانى والمذكور فيه ما حاصله " ان احدا مدح السواد عند سعيد بن العاص وبالغ فيه فقال بعضهم نعم وياليته كان لاميرنا فقال بعض من حضر لاتعط ارضنا للامير فقال الرجل ولو شاء الامير لاخذه فانكروا قوله فقال سعيد بن العاص " السواد بستان قريش الخ " فقال الرجل لا انه من منابع رماحنا " فانت ترى ان النزاع بين الجند و امير البلد هنا هو النزاع الذى كان بين بعض الصحابة وعمر الفاروق واىّ متشبث فى ذلك للمؤلف۔

فان سعيد بن العاص قال ما قال ردًّا على الجند بدعوى ان الارض لا تقسم بين فاتحي البلاد بل هي تحت يد الخليفة اومن ينوب عنه وانما ذكر سعيد قريشا لان الخلافة على زعمهم للقريش خاصة،

قال المولف،

فكان الخلفاء يكتبون الى عمالهم بجمع الاموال وحشدها والعمال لا يبالون كيف يجمعونها فقد كتب معاوية الى زياد "اصطف لي الصفراء والبيضاء فكتب زياد الى عماله بذلك واوصاهم ان يوافوه بالمال ولا يقسموا بين المسلمين ذهبا ولا فضة" (الجز الرابع صفحة ٩ ، واحال الرواية في الهامش على العقد الفريد صفحة ١٠ من المجلد الاول)

ننقل ما خذ هذه الرواية كما صرح به المولف في الهامش لترى خيانات المولف واحدة بعد واحدة، قال صاحب العقد،

"ونظير هذا القول ما رواه الاعمش عن الشعبي ان زيادا كتب الى الحكم بن عمرو الغفاري وكان على الطايفة ان امير المومنين كتب الي ان اصطفي له الصفراء والبيضاء فلا تقسم بين الناس ذهبا ولا فضة فكتب اليه اني وجدت كتاب الله قبل كتاب امير المومنين ثم نادى في الناس فقسم لهم ما اجتمع من الفيء" (العقد الفريد المجلد الاول صفحة ١٠)

فانظر اوّلاً، انّه ليس فى هذه الرواية انّ معاوية كتب الى زياد بل ان زياد كتب الى الحكم انّ امير المومنين كتب الىّ، ولعل زياد كذب فى ذلك او فهم غير ما اراد معاوية بقوله،

ثانياً، انّ المولف حذف كل ما قال الشعبى وما عمل به من تقسيم الفئ، لدلالته على ان فى عمّال بنى امية من لا يمنعه عن الصلح بالحق واداء الواجب احدٌ۔ لا ولاة الامصار ولا من فوقهم اى الخليفة نفسه،

ثالثاً، انّه ليس فى هذه العبارة ما يستدل به على استئثار معاوية المال لنفسه فان مراده ان العمّال ليس لهم تقسيم الفئ، بل الامر موكول الى الخليفة فعلى العامل ان يجمع الاموال ويرسلها الى الخليفة وللخليفة ان يضعها موضعها،

قال المولف،

"فكان العمال يبذلون الجهد فى جمع الاموال بأية وسيلة كانت و مصادرها الجزية والخراج والزكاة والصدقة والعشور واهمها فى اول الاسلام الجزية وكثرة اهل الذمة فكان عمال بنى امية يشدّدون فى تحصيلها فاخذ اهل الذمة يدخلون فى الاسلام فلم يكن ذلك لينجيهم منها لان العمال عدّوا اسلامهم الفرار من الجزية وليس رغبة فى الاسلام فطالبوهم بالجزية بعد اسلامهم واول من فعل ذلك الحجاج بن يوسف واقتدى به غيره من عمال بنى امية فى افريقية وخراسان وما وراء النهر فارتد الناس عن الاسلام

وهم يودون البقاء فيه وخصوصاً اهل خراسان وما وراء النهر فانهم طلبوا الى اواخر بني امية لا يمنعهم عن الاسلام الا ظلم العمال بطلب الجزية منهم بعد اسلامهم" (الجزء الرابع صفحة ٧٠)

ذكر المؤلف هذه الواقعة اى اخذ الجزية بعد الاسلام فى غير موضع بعبارات متنوعة قوية الاخذ بالنفس شديدة الوطأة على القلب يتراءى للناظر فيها ان الناس حيطوا من كل جانب جوراً وعدوانا فاذا ابقوا على الكفر يعانون من الشدة ما يلجئهم الى الاسلام واذا اسلموا فالجزية باقية على حالها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون،

اعلم ان الجزية ليست الا بدلاً عسكرياً فمن يذب عن بيضة الملك بنفسه فهو غير مأخوذ بها اما من ضن بالنفس ولا يصلح لذلك فعليه ان يؤدى شيئاً من المال ليكون عدة للعسكر وعونا له واول من سن الجزية وجعل لها وضائع كسرى نوشروان كما ذكره ابن الاثير وصرح بانها هى الوضائع التى اقتدى بها عمر بن الخطاب، وكم تجد فى البلاذرى والطبرى وغيرها ان اقواماً من النصارى فى عصر عمر بن الخطاب لما قاموا بالدفاع عن الملك او دخلوا فى الجند سقطت عنهم الجزية واعفى عمر بن الخطاب نصارى تغلب عن الجزية واضعف عليها الصدقة وجملة القول ان الجزية لم يكن فى الاصل شئ يحدث بين الكفر والاسلام ولكن لما كان غالب الحال ان اهل البلاد من النصارى والمجوس واليهود

كانوا اصحاب حرث وزرع وعمالٍ فى الديوان وكانوا لا يرضون بمخاطرة النفس واقتحام الحروب ولذلك كانوا مطالبين بالجزية والمسلم لا يمكن له الاعتزال عن الحرب فانه مضطر الى الذب عن بلاد الاسلام طايعًا او مكرهًا، صارت الجزية كأنها حدٌّ فاصل بين الرئيس والمرءوس ثم بين المسلم وغير المسلم،

٢- ولما لم ينفصل الامر بتّةً وبقى للاجتهاد موضع ومُتّسَع كان بعض العمال يضرب الجزية على حديثى العهد بالاسلام،

٣- ولكن مع هذا لم يتفق ذالك فى مدى الخلافة الاموية الا مرات معدودات يشهد بذلك الفحص والتقصى وامرار النظر والكدّ فى البحث والتنقيب ومع ذلك فكلما وقع مثل هذا لم يكن له بقاء فامّا ان يكون الامة هى التى تقيم النكير على العامل او يصل الخبر الى الخليفة فيرد عمله ويمنعه عن الوقوع فى مثله امّا ففى سنة لما كتب الحجاج الى البصرة بردّ من اسلم من اهل القرى الى مساكنهم وضرب الجزية عليهم ضجّ القُرّاء وخرجوا يبكون مع البُكاة من اهل القرى وبايعوا عبد الرحمٰن بن الاشعث مشمئزين من عمل الحجاج منكرين عليه كما هو مشروح فى تاريخ الكامل لابن الاثير وكذلك لما اقتدى الجراح الحكمى بصنيع الحجاج كتب اليه عمر بن عبد العزيز يامره باسقاط الجزية والواقعة مذكورة فى حوادث سنة فى تاريخ الكامل وكذلك لما فعل يزيدُ بن ابى مسلم فى افريقية سنة ١٠٢ ام الّبَ الناس عليه و قتلوه وكتبوا الى الخليفة يزيد بن عبد الملك فكتب اليهم انى ما كنتُ مستحسنًا

عمل يزيد والقصة مذكورة فی الكامل تحت حوادث سنة ١٠٢ وكان آخر ما وقع مثل ذلك ما فعل اشرس فی خراسان فاورث ثورة واشترك العرب مع الثائرين ونصروهم اما خلفاء بنی امية فلم يثبت من احد منهم مثل ذلك وانما كان اراد عبد الملك وضع الجزية على من اسلم من اهل الذمة فكلمه ابن حجيرة فترك والقصة مذكورة فی المقريزی بنوع من التفصيل (انظر صفحة ٨٠ من الجزء الاول) والآن نقص عليك بعض خيانات المؤلف،

(١) ذكر وقعة الحجاج وترك نكير القراء عليه وبيعتهم على يد ابن الاشعث انكارًا على صنيع الحجاج،

(٢) ذكر وقعة الجراح (الجزء الثانی صفحة ٢٠) وترك انكار عمر بن عبد العزيز عليه ومنعه عن ضرب الجزية عليهم،

(٣) ذكر واقعة يزيد بن ابی مسلم وترك ان الناس قتلوه وان الخليفة يزيد بن عبد الملك استصوب صنيعهم ای قتلهم يزيد بن ابی مسلم،

(٤) ذكر واقعة اشرس ولم يذكر ان العرب قاموا عليه وكانوا مع الثائرين عليه

ولما ثبت ان ضرب الجزية على حديثی العهد بالاسلام لم يامر به احدٌ من خلفاء بنی امية وانما كان اجتهادًا من بعض العمال بناءً على ان اسقاط الجزية يورث نقصًا فی الخراج وان الخلفاء كلما عثروا على ذلك منعوا العمال عن ضرب الجزية وردوا عملهم وانه كلما وقع مثل ذلك تألب العلماء والخيار من الناس

واقاموا النكير على ضاربي الجزية حتى قتلوا بعض العمال ثم استحسن الخليفة قتله فهل المولف ان يحمل وزر بعض العمال على بني امية كافة وهل يصح قوله،

"ولم يكن عمال بني امية يأتون هذه الاعمال من عند نفسهم دائما بل كثيرا ما كانوا يفعلونه بأمر خلفائهم كما قد رايت مما كتبه معاوية الى وردان" (الجزء الثاني صفحة ٢٢)

اما كتاب معاوية الى وردان فقدم ذكره وليس فيه للمولف موضع حجة،

قال المولف

أنه لما راى اهل الذمة ان الاسلام لا ينجيهم من ذلك فعمد بعضهم الى التلبس بثوب الرهبنة لان الرهبان لا جزية عليهم فادرك العمال غرضهم من ذلك فوضعوا الجزية على الرهبان واول من فعل ذلك منهم عبد العزيز بن مروان عامل مصر فامر باحصاء الرهبان وفرض على كل راهب دينارا"، (الجزء الثاني صفحة ٢٠ مستندا الى المقريزي صفحة ٤٩٢ من الجزء الثاني)،

ايها الفاضل المؤلف اما هذا الاجتراء اما هذا الاختلاق؟ اما هذا الكذب الظاهر؟

هاك نص المقريزي "ثم قدم اليعاقبة في سنة احدى وثمانين الاسكندر فقام اربعا وعشرين سنة ونصفا وقيل خمسا وعشرين سنة ومات سنة ست ومائة ومرت به شدائد صودر فيها مرتين اخذ منه فيهما ستة

الا ان دینار و فی ایامه امر عبد العزیز بن مروان فامر باحصاء الرهبان فاحصوا واخذت منهم الجزیة علی کل راهب دینار وهی اول جزیة اخذت من الرهبان" (الجزء الثانی من المقریزی صفحہ ۴۹۲)

فهل تجد فی هذه العبارة ادنی اشارة الی ان عبد العزیز واحد غیره شدد فی الجزیة فاختار والرهبنة طلباً للنجاة من الجزیة فما نفعهم وانما فیها ان عبد العزیز بن مروان وضع الجزیة علی الرهبان وهذا لیس فیه کبیر شیئ فان الرهبان وان کانوا معافون عن الجزیة ولکن لما لم یکن الامر منصوصاً لا فی الکتاب ولا فی السنة کان للاجتهاد فیه مساغ فاجتهد عبد العزیز واخطاء،

لو سردنا کل ما قال المؤلف عن جور بنی امیة وعمالهم واستیثارهم الاموال واسرافهم فی استلابها وبینا ما فی کل قول من التحریف والتدلیس وتغییر المعنی والخیانة فی النقل وصرف العبارة عن وجهها لطال الکلام واحتجنا الی عمل کتاب منفرد بنفسه فلاجل ذلک اقتصرنا علی کشف بعض دسایسه مع انه قلّ من کلٍّ وغیضٌ من فیضٍ[1]،

انتهٰی هذا البحث

[1] ومما یناسب ذکره فی هذا المقام ان المؤلف لما اخرج الجزء الاول من کتابه ارسله الیّ فکتبت الیه بعد الاعجاب به انه لابد من ذکر مصادر الروایات فی کل موضع وذلک لاجل انی کنت اتخاف علیه التدلیس، فاظهر المؤلف فی مقدمة الجزء الثانی انه عمل بذلک، ویذکر الکتاب والجزء والصفحة ولکن من الاسف ان کل هذا ما اجدی نفعاً فانه ما یذکر المطبعة ولاجل هذا کابدتُ فی تطبیق مصادر کتابه محنة عظیمة فان النسخ مختلفة ولا یدری ای نسخة ارادها وبسبب ذلک ما اهتدنا الی اکثر خیاناتها ومن المحقق المستیقن به انه ما نقل عبارة الّا وعمل فیها شیئاً من التحریف والتغییر ومن کان فی ریب من ذلک فلیراجع الاصول ویکابد محنة التطبیق لیؤمن بما قلته صحیحة واللہ هاش -۱۲

ونقول بعد كل ذلك ان موضوع الكتاب ليس الا بيان تمدن الاسلام فاى متعلق فى ذلك لابداء مساوى بنى امية ولعلك تقول لابد فى تاريخ تمدن الاسلام من بيان منهج السياسة وانها هل كانت موسسة على الاستبداد والجور او العدل والنصفة فجر ذلك الى كشف عوار بنى امية عرضا ولكن انا اشدك بالله اما كان لاحد منهم ماثرة تذكر ومنقبة تنقل وسياسة تنفع البلاد ومعدلة تعم الناس، نعم ان بنى امية لايوزنون بالخلفاء الراشدين ليس هذا عارا عليهم ولا فيه حط لمنزلتهم فان ادراك شأو الراشدين واللحوق بهم امر خارج عن طوق البشر وليس فيه مطمع لاحد ولا موضع رجاء لمجتهد ولكن التوازن والتكايل بين الاموية والعباسية وانما هم ملوك فيهم المحسن والمسئ والعادل والجاير والناسك والخليع والحازم والمغفل بل الذى اعدلهم سيرة وامثلهم طريقة واوفاهم ذمما وارضاهم طورا لايخلو من عثرات لا تقال وهنات لا تذكر فلو لزم المولف جادة الانصاف ووفى لكل حد قسطه واعطى كل ذى حق حقه لاستراح واستراحنا ولكنه مال الى واحد فاطرى فى مدحه ونال من الاخر فاسرف فى تهجينه وذمه ثم انه لم يفارق فى مدحه وذمه عمود الكتاب اى ذم العرب والحط من شانهم فانه ذم بنى امية لانهم العرب بحتة ومدح العباسيين لا لانهم العرب او انهم من سلالة هاشم او من اقرباء النبى بل لان دولتهم دولة عجمية وقد مرنصه فى ذلك سابقا،

وكان لنا ان نذكر طرفاً من مآثر بني امية وسيرتهم ومبلغهم من حسن السياسة وتعمير البلاد وتمهيد السبل وتوطيد الامن واقامة المرافق وتعميم المعارف

اعلم ان دولة بني امية عبارة عن معاوية ويزيد وعبد الملك بن مروان والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز وهشام فاما ما عداهم فلم تطل مدتهم وليس العبرة بهم ان احسنوا او اساؤا

فاما معاوية فنذكر من سيرته ما ذكره المؤرخ المسعودي في مروجه مع نوع من الاختصار قال

كان من اخلاق المعاوية انه كان يأذن في اليوم والليلة خمس مرات

كان اذا صلى الفجر جلس للقصاص حتى يفرغ من قصصه ××× فيخرج الى المسجد فيسند ظهره الى المقصورة ويجلس على الكرسي ويقوم الاحداث فيتقدم اليه الضعيف والاعرابي والصبي والمراة ومن لا احد له فيقول ظُلِمتُ فيقول اَعِزُّوه ويقول عُدِيَ عليّ فيقول ابعثوا معه ويقول صنع بي فيقول انظروا في امره حتى اذا لم يبق احد دخل فجلس على السرير ثم يقول ائذنوا الناس على قدر منازلهم فـ اذا استووا جلوساً قال يا هؤلاء انما سُمّيتم اشرافاً لانكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس ارفعوا الينا حوائج من لا يصل الينا فيقوم الرجل فيقول شهد فلانٌ فيقول افرضوا له ويقول

آخر غاب فلانٌ عن اهله فيقول تعاهد وهم وا قضوا حوائجهم، ثم
يوتى بالغداء، والكاتب يقرع كتابه فيأمر فيه، حتى يأتى على اصحاب
الحوائج كلهم، وربما قام اليه من اصحاب الحوائج اربعون اونحوهم
على قدر الغداء،

واطال المسعودى فى بيان اعمال معاوية يوميا ثم قال بعد
حكاية معترضة "فلنرجع الآن الى اخبار معاوية وسياسته وما اوسع الناس من
اخلاقه وما افاض عليهم من بره وعطائه وشملهم من احسانه مما اجتذب
به القلوب واستدعى به النفوس حتى آثروه على الاهل و القرابات" ثم ذكر بعد
ذلك عدة وقايع تركناها هرباً عن الاطناب،

فاما عبدالملك فقال المدائنى كان يقال معاوية احلم وعبدالملك احزم
وهو الذى جعل على بيوت الاموال والخزائن رجاء بن الحيوة ذلك المحدث
المشهور وعلى كتابة الخراج والجند سرجون بن منصور الرومى (وهو نصرانى)
وحوّل الدواوين من الرومية والفارسية الى العربية وزاد على ما كان فرض
معاوية للموالى خمسة فبلغها عشرين ودخل فى بيعته عبدالله بن عمر و محمد
بن حنفية" ذكر كل ذلك صاحب العقد فى ترجمته وقد سبق من نسكه و
عبادته ما فيه كفاءة فيما مرّ،

ومما ينقم عليه تاميره الحجاج واكنّ الدولة تحتاج فى بدايتها واوّل نشاءتها

الی مثال ذلك وهذا ابو مسلم الخراسانی مؤسس الدولة العباسیة قتل ستمایة الف رجل صبراً وهذا ابو جعفر المنصور فعل بالهاشمیین ما لم یسبق له نظیر فی الاسلام ومع ذلك فانی اعوذ بالله ان اتوم ذاتباً عن الحجاج ومدافعاً عنه"

اما الولید فكان اهل الشام یفتخرون به وحق لهم ذلك قال صاحب العقد الفرید

"كان الولید عند اهل الشام افضل خلفایهم واكثرهم فتوحاً، واعظمهم نفقة فی سبیل الله بنی مسجد دمشق ومسجد المدینة ووضع المنابر واعطی المجذومین حتی اغناهم عن سوال الناس واعطی كل مقعد خادماً وكل ضریر قایداً وكان یمر بالبقال فیتناول قبضة فیقول بكم هذه فیقول بفلس فیقول زد فیها فانك تربح" وهو الذی وسّع مسجد النبیّ وذهّب البیت قال الیعقوبی ان الولید بعث الی ملك الروم یعلمه انه قد هدم مسجد رسول الله فلیعنه فیه فبعث الیه بمایة الف مثقال ذهباً ومایة فاعل واربعین حملاً فسیفساء .. وبعث الولید الی خالد بن عبدالله القسری وهو علی مكة بثلثین الف دینار فضربت صفایح وجعلت علی باب الكعبة.. فكان اول من ذهّب البیت فی الاسلام وحج الولید سنة ۹۱ لینظر الی البیت والی المسجد وما اصلح منه والی البیت وتذهیبه"

وقال الیعقوبی كان اول من عمل البیمارستان للمرضی ودار الضیافة واول من اجری علی العمیان والمساكین والمجذومین الارزاق،

وقال السیوطی فی تاریخه للخلفاء "وكان مع ذلك (ای كونه جباراً ظلوماً)

يختن الايتام ويرتب لهم المؤدبين

ثم ان الدول تعرف اقدارها بآثارها وتقضى بفضلها بعملها واخلد الآثار التى تتفاضل بها مقادير الملوك وتتطاول بها رتب الدول كثرة الفتوح واستتباب امور الملك والرعية وتوطد دعايم العدل وانتشار العلم ودولة بنى امية قد اخذت من كل ذلك قسطا وضرب فى كل ذلك بسهم

اما كثرة الفتوح فقد بلغت دولتهم منها غاية ليس وراءها مُطلعٌ لطامح انقضت ايام الخلافة الراشدة والاسلام يزخر عبابه فى جزيرة العرب وديار الشام ومصر وبلاد الفرس فلما تسنمت بنو امية عرش الخلافة ازداد الاسلام فتوحا واتسعت ممالكه وغلب سلطانه وامتدت سطوته ودخلت البلاد النائية المترامية الاكناف فى حوزة حكمه فملكوا ما لم يملكه احدٌ من ملوك الاسلام قبلهم ولا بعدهم فتحوا اطرابلس وطنجة وساير بلاد المغرب والاندلس وبلاد الديلم والاتراك والمغول والسند وقبرص واقريطش ورودس وغيرها من جزاير البحر وغزوا صقلية وصالحوا النوبة وتوغلوا فى بلاد الروم حتى بلغوا اسوار القسطنطنية وضربوا السيف على ابوابها وافتتح السند محمد الثقفى احدُ ابناء قوّادهم وهو ابن سبع عشرة سنة وقد وطئت جيوشهم ثغور الصين وثغور بلاد الافرنج وعاصمة بلاد الروم وحدود بلاد الهند وملكوا من السند الى ثغور بلاد الافرنج طولا ومن البحر الاحمر الى بلاد الخزر عرضا ودخل فى حوزة ملكهم العرب وديار الشام والعراق والجزيرة ومصر والبجة وبرقة

وتونس ومراكش وطرابلس والاندلس وارمينة وخراسان وفارس وتوران والديلم وبلاد الران وطبرستان وجرجان وسجستان وخوارزم وماوراء النهر وبلاد الخزر وافغانستان والسند وبعض بلاد الهند فمن يدانيهم من الملوك فى سعة الملك و من يباريهم فى كثرة الفتوح،

استتباب امور الملك و الرعية ليس فى سعة الملك كبير فضل اذا لم يكن هناك تانق فى امور المملكة ونظر فى امور الرعية وقيام بمصالح العباد وتشمير فى عمارة البلاد ولذلك الذين فتحوا البلاد ولم ينظروا فى امور اهلها ليسوا عند ذوى الخبرة من اهل التاريخ اسمى منزلةً واعلى مكانةً من قطاع الطريق الذين يعثون فى الارض مفسدين اما ملوك بنى امية فقد جمعوا بين سعة الملك والنظر فى امور العباد وكثرة الفتوح وعمارة البلاد حفروا الانهار وعمروا الطرق وشادوا المصانع وابتنوا المساجد وبذلوا الاموال وقضوا الحوائج وكشفوا المظالم واغمروا المجذومين والعميان والمقعدين والصعاليك بالجزيل من الاحسان واجروا لهم الارزاق ثم رتّبوا المصالح ودونوا الدواوين وحصنوا الحصون وبنوا المدن والقصور،

فقد مرّ من ذلك شئ كثير فيما تقدم من سيرهم واعمالهم واليك هذه العجالة التى هى كالطل من الوبل اما المصانع فانه حصّن هشام المثقب على يد حسان بن ماهون الانطاكى وحفرله خندقا وبنى حصن قطرغاش وحصّن مورة و حصّن بوقا من عمل انطاكية وبنى سعيد بن عبد الملك سور الموصل هو الذى

هدمه الرشيد وفرش الموصل بالحجارة ابن تليد صاحب شرطة المروانيين وسار

العباس بن الوليد الى مرعش فعمرها وحصنها ونقل الناس اليها وبنى لها مسجدا جامعا

واسكن مسلمة بن عبد الملك مدينة الباب اربعة وعشرين الفا من

اهل الشام على العطاء وبنى هريا (مخزنا) للطعام وهريا للشعير وخزانة للسلاح و

امر بكبس الصهريج ورم المدينة وشرفها واحدث الحجاج احد امراءهم فى سنة ٨٣

مدينة واسط بين الكوفة والبصرة وبنى مسجدها وقصرها والقبة الخضراء بها

واحدث سليمان بن عبد الملك فى ولايته مدينة الرملة ومصّرها وبنى فيها

القصور ومسجدا وحفر الآبار والقنى والصهاريج وبنى احد قوادهم عقبة بن نافع

الفهرى بافريقية قيروانها واحدثوا غيرها من المدن والحصون والارباض

فى الاندلس وجنوب بلاد الروم والسند،

ثم اَمَّنوا الطُّرق وعمّروا السُّبل فكان موضع قيروان غيضةً ذات

طرفاء وشجر لا يُرامُ من السباع والحيات والعقارب القتّالة فاحدثوا فيه تلك

المدينة الزهراء فاصبحت طرق افريقية امنةً مستانسة بعد ما كانت مستوحشة

ذات مخاوف ومهالك وكانت الطريق فيما بين انطاكية والمصيصة مسبعة

يعترض للناس فيها الاسد فوجّه الوليد اليها اربعة الف جاموسة وجاموس

فنفع الله بها واذكر ما كتب ابن الاثير فى حوادث سنة ٨٨ "ان الوليد كتب

الى البلدان جميعها باصلاح الطرق وعمل الآبار" وكان الموضع الذى فيه

نهر سعيد بن عبد الملك غيضة ذات سباع فاقطعه اياها الوليد فحفر وعمر ماهناك ولما بغى سيل الجراف بمكة فى سنة ٨٠ فى زمن عبد الملك امر عامله بعمل ضفاير الدور الشارعة على الوادى وضفاير المسجد وعمل الردم على افواه السكك وحفر عدى عامل البصرة من قبل عمر بن عبد العزيز بامره نهر عدى

ومن الاخبار التى تدل على شدة حبهم للرعية وكثرة بذلهم فى ازاحة خللها واماطة اذاها انه شكا اهل البصرة الى عامل يزيد على العراق ملوحة مائهم فكتب بذلك الى يزيد فكتب اليه ان بلغت نفقة هذا النهر خراج العراق فانفقه عليه فحفر لهم النهر الذى يعرف بنهر ابن عمرو حفر عمالهم الجابرون الغاشمون (كما يقول جرجى أفندى زيدان) والمنتسبون اليهم كثيرا من الانهار غير ما ذكر كنهر معقل ونهر دبيس ونهر الاساورة ونهر عمرو ونهر ام حبيب ونهر حرب ونهر يزيدان ونهر سلم ونهر نافذ ونهر خيرتان ونهر مرة نهر مرة ونهر بشار ونهر بزور ونهر حبيب ونهر ذراع ونهر ابى بكرة وغيره من الانهار وهذه الانهار كلها حفروها[1] بالبصرة فما بال غيرها من البلاد،

اما ما بذلوا من الاموال وافرغوا من الجهد فى بناء المسجد النبوى وتذهيب البيت والمسجد الاموى الذى هو معدود من احدى العجايب

---

[1] راجع لكل ذلك البلاذرى۔

في كثرة نفقاته وعظمة بناءه ودقة صنعه وبهجة منظره وحسن نظامه فهو اشهر من نار على علم

وبنو أمية هم اول من اتخذ دار الضرب في الاسلام فكسوا به الاسلام
رفعة واغنوه عن نقود الروم والفرس ونحوه عما وعده الروم بنقش شتم
النبي صلى الله عليه وسلم عليها وهم الذين نقلوا الدفاتر والدواوين عن
الفارسية والرومية والقبطية الى العربية[٥١] فزادت العربية انتشارا ونفوذا
ولم يمض برهة من الدهر حتى اصبحت هذه البلاد عربية النزعة واللسان
وهم اول من بنى مستشفى في الاسلام بنوه بدمشق سنة ثمان وثمانين جعلوا
فيه الاطباء وامروا بحبس المجذومين واجروا لهم الارزاق وهم اول من
انشاء دار العميان وهم اول من عمل دار الضيافة بعد[٥٢] عمر بن الخطاب وهم
اول من رتب للايتام وعين اليهم ورتب لهم المودبين ليعلموهم[٥٣]،

نشر المعارف والعلم أما العلم فقد نحى بحبوحة وزهر بدره فالقرآن الذي هو عمود الاسلام
وراس العلوم وينبوع المعارف ادرك الامة قبل اختلافها فيه عثمان بن عفان
وهو أموي ثم بعد ذلك اختلط العرب بالعجم واحتكت بهم ففسدت لغتها
واسلمت العجم فلم تستطع السلامة من اللحن فكثر التصحيف في القرآن

---

٥١ راجع لكل ذلك فتوح البلدان للبلاذري،

٥٢ اليعقوبي ذكر الوليد،

٥٣ السيوطي ذكر الوليد،

وانتشر بالعراق ففزع الحجاج وهو احد امراء بنى امية الى كتّابه فوضعوا النقط
والاعجام[1] فعصموا به كتاب الله ان يتطرق اليه التصحيف والتحريف تطرقهما
الى التوراة والانجيل ووالله هذا اعظم مبرّة برّبها الاسلام لا يساويها مبرّة
واعظم منّة مُنّ بها على الدين لا يوازيها منة ثم كتب الحجاج المصاحف وفرقها
فى الامصار وكان الوليد الذى رماه صاحبنا بالاستهانة بالقرآن يحث
الناس على حفظ القرآن وكان يجزل الصلات لحفظته ويضرب الذين
لم يحفظوه[2] فكثر حفظته وعظم قدرهم وجلت رتبتهم،

اما التفسير ففى ايامهم نبغت اجلة المفسرين من التابعين وفى ايامهم
دُوّن التفسير فى الصحف فاول من وضع فى التفسير ابن جبير بامر عبد الملك[عه] ثم مجاهد

اما الحديث فكانوا يدرّون على اهله الصلات ويبعثون اليهم
بالهدايا ويجرون لهم الارزاق لينقطعوا الى حفظ الحديث وروايته ونقله
وكانوا يكرمون الفقهاء ويجلّون مقامهم ويراعون جانبهم فقد كان يصيح
صايح من بنى مروان فى موسم الحجّ الا لا يفتى للناس الا عطاء بن ابى رباح،
اجلالا لشانه ولكثرة علمه بالمناسك[عه] وكان عبد الملك امر الحجاج[4] وهو اميره

---

[1] ابن خلكان ذكر الحجاج، [عه] ميزان الاعتدال للذهبى ذكر عطاء بن دينار،
[2] العقد اخبار الوليد وابن الاثير سنة ۸۸،
[3] ابن خلكان ذكر عطاء، [4] مقدمة شرح الموطا للزرقانى،

على الموسم ان يقدم ابن عمر فى الحج ويقبض اثره فى المناسك وكان سالم

ابن عبد الله والقاسم بن محمد والشعبى وميمون بن مهران والزهرى و

ايوب بن ابى تميمه وقبيصة بن ذؤيب ورجاء بن الحيوة اعزة عند بنى امية

وكان اكثرهم عمالا لهم وهم اساطين الحديث وائمة الرواية واعلام النقل

وانت تعلم ان احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لولا استودعت بطون

الصحف لضاعت بهلاك العلماء واسراع الموت فيهم فاسئلك بحرمة

التاريخ من امر اهل هذا الشان بتدوينها فى الكتب اليس هو عمر بن عبد العزيز

الاموى فجاء فى الآثار ان عمر بن عبد العزيز كتب الى الافاق "انظروا حديث

رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه" وكتب الى ابى بكر بن حزم راس

المحدثين ان انظر ما كان من سنة او حديث فاكتبه لى فانى خفت دروس العلم

وذهاب العلماء وقد كتب ابن حزم كتبا فى الحديث فتوفى عمر ثم وضع الكتب فيه

ربيع بن صبيح وكان عمر بن عبد العزيز يكتب الى الامصار يعلمهم السنن والفقه[1]

اما اصول اللغة ونحوها فقد كان تدوينها بامر امراء بنى امية ذكر

ابن خلكان (المجلد الاول صفحة ۲۴۰) ان ابا الاسود الدؤلى استاذن زياد بن ابيه

وهو والى العراقين يومئذ ان يضع للعرب ما يقيمون به لسانهم فابى ثم بدا له

صواب رايه فدعا الدؤلى وقال له ضع للناس الذى نهيتك ان تضع لهم

---

[1] مقدمة الزرقانى على الموطأ

فوضعه واخذ عنه ما وضعه عتبة بن مهران المهرى وعنه ميمون وعنه عبد الله الحضرى وعنه عيسى بن عمرو وعنه الخليل[له] وهؤلاء كلهم كانوا فى عصر بنى امية وهم واضعوا النحو وملهدوا اصوله،

اما الشعر فقد ففى عصرهم فتقت السنة الشعراء وارتفع قدرهم وانتشر ذكرهم ففحول الشعر وامراء القول وفرسان القريض هم الفرزدق الدارمى وجرير الخطفى والاخطل التغلبى وعمر بن ابى ربيعة القرشى وكثير عزة وجميل بثينة ومجنون ليلى وذو الرمة غيلان ونصيب هؤلاء كلهم كانوا يقصدون الخلفاء بجياد قصائدهم فكانوا يغمرونهم بالجوائز فنطقت السنتهم بما اصبح زهرة للادب وزينة للغة،

وكانوا يحثون الناس على اقتناء الادب وتناشد الشعر وتدارس اخبار الشعراء وكانوا يستوفدون الشعراء ويستزيرونهم ويجيزونهم بالاموال الجزيلة وكانوا يرسلون ابناءهم الى البادية ليتلقنوا الادب ويتلقفوا اللغة من افواه الاعراب واهل البادية وقد جمع الوليد بن يزيد عبد الملك ديوان العرب واشعارها واخبارها وانسابها ولغاتها[عه]،

اما علم التاريخ والسير والمغازى فبعصرهم افتتح عصره وبامرهم ارتفع امره ففحول اصحاب السير والمغازى هو وهب بن منبه عالم اليمن المتوفى سنة ١١٤ ومحمد بن مسلم الزهرى صاحب عبد الملك المتوفى سنة ١٢٤

له ابن خلكان المجلد ٢ صفحة ٣٨٠، عه الفهرست صفحة ٩١،

وموسى بن عقبة المتوفى سنة ١٤١ وهؤلاء كلهم كتب فى التاريخ والسير والمغازى[1]
ووضع فى ايامهم عوانة المتوفى سنة ١٤٧ كتاب التاريخ وكتاب سيرة معاوية و
بنى امية وكان للملوك بنى امية رغبة شديدة فى استطلاع الاخبار الماضية و
حوادث الامم الخالية قال المسعودى انه كان معاوية يجلس لاصحاب الاخبار
فى كل ليلة بعد العشاء الى ثلث الليل ثم ينام ثلث الليل ثم يقوم فياتيه غلمان
وعندهم كتب فيقرؤن عليه ما فى الكتب من اخبار الامم وسير الملوك وسياسات
الدول ولم يصبر على ذلك حتى استحضر عالم عصره عبيد بن شرية من
صنعاء اليمن وساله عن الاخبار المتقدمة وملوك العجم وسبب تبلبل الالسنة
وامر افتراق الناس فى البلاد وامره ان يدون ما علمه وعاش عبيد الى ايام
عبد الملك وتوفى وله من الكتب كتاب الامثال وكتاب اخبار الماضين[2]
واخذ عنه اناس سماهم ابن النديم وكان من رواته زيد الكلابى فى ايام
يزيد بن معاوية عارف بايام العرب واحاديثها (الفهرست صفحة ٩٠) وقد
كان هشام مشغوفا بالسير والاخبار فنقل له جبلة بعض كتب سير الفرس
من الفارسية الى العربية وامر هشام النقلة فنقلوا له كتاب تاريخ ملوك الفرس
وقوانين دولتهم وتراجم رجالهم وكان هذا الكتاب مصورا تم نقله سنة ١١٣

---

[1] راجع كشف الظنون وتذكرة الحفاظ،

[2] كتاب الفهرست صفحة ٢٤٤،

راه المسعودی سنة ۳۰۲ فی مدینة اصطخر کما ذکر فی التنبیه (صفحة ۱۰۶)،

اما علوم الفلسفة ومنها الطب والکیمیاء فکان لهم فی نقلها الی العربیة

آثار صالحة فنقل ابن اثال لمعاویة کتب الطب من الیونانیة وهذا اول نقل فی

الاسلام وکان فی البصرة فی ایام مروان بن الحکم طبیب ماهر یهودی النحلة

عارف بالعربیة اسمه ماسرجویة فنقل ماسرجویه هذا کناش القس اهرون

ابن اعین فی السریانیة الی العربیة فلما تولی عمر بن عبد العزیز وجد هذا

الکتاب فی خزاین الکتب فی الشام فاخرجه الی الناس وبثه فی ایدیهم[1] وخالد

بن یزید بن معاویة حکیم آل امیة اول من طلب علوم الفلسفة فی الاسلام

وخبره انه کان یطمع فی الخلافة فلما وثب مروان علیها رغب خالد عنها الی

طلب العلم فاستقدم جماعة من فلاسفة الیونانیین ممن کان ینزل مدینة مصر

ومنهم مریانوس الرومی الذی اخذ عنه صنعة الکیمیا والطب وامرهم بنقل

الکتب من الیونانیة والقبطیة الی العربیة فنقلوها له ولخالد کلام فی الکیمیا و

الطب وکان بصیرا بهذین العلمین متقنا لهما وله رسایل دالة علی معرفته

وبراعته کما اخبر به ابن خلکان وقد ذکر له ترجمة صالحة ابن الندیم فی فهرسته

ونقل سالم کاتب هشام وهو ابو جبلة المار ذکره رسایل ارسطاطالیس الی

الاسکندر فبناء علی ما قدمنا من القول بنو امیة هم اول من استقدم الفلاسفة

[1] اخبار الحکما، وعیون الانباء،

واستدنا هم فی الاسلام هم اول من امر بنقل العلوم الی العربیة فی الاسلام هم اول من انشأ خزاین للکتب فی الاسلام وقد اضربنا صفحا عما کان لآل امیة بالاندلس فی السیاسة والعلم من المآثر الحسنة والاعمال الجلیلة والسیر العادلة فهل لک ایها الفاضل المؤلف الی الاذعان للحق من سبیل والی الرجوع من ضلال الرای من طریق،

صنیع المولف بالعباسیة عهدنا الوحوش الضاریة مع جفاء طبعها وقسوة قلبها وکونها مطبوعة علی الافتراس والفتک والتروی بالدم اذا دخلت غابتها واحاطت بها عایلتها تبدل القسوة بالرحمة والغلظة باللطف والغضب بالحنان فبینما اسد هصور کاشر عن الانیاب کالح الوجه مستبشع المنظر کریه الهیئة اذ هو هش بش حنون عطوف یذوب لطفا ورقة وکذلک شأن قواد الجند وابطال الحروب فانک تری احدهم اذا قاتل الاکفاء وناطح الاقران فهو شهاب ینقض و نار تلتهب وسعیر تفور واذا عاشر الاصحاب فهو الینهم جانبا واحلاهم خلقا واوسعهم حلما وارقهم طبعا وقد جربنا المولف وبحثنا عوده فی معاملته مع اعدایه (بنی امیة) فلننظر کیف حاله فی معاشرته مع اصدقایه (العباسیة)

قال المولف.

"فحبب بعضهم الی المنصورات بستبدل الکعبة بما یقوم مقامهما فی العراق

تکون حجا للناس فبنی بناء سماه القبة الخضراء تصغیرا للکعبة وقطع المیرة

فی بحر عن المدینة" (الجزء الثانی صفحة ۳۰)

وقال،

"وارادالمعتصم ان یستغنی عن بلاد العرب وقد بنی سامرا بقرب بغداد واقام فیھا جنده فانشاء فیھا کعبة وجعل حولھا طوافا واتخذ منی وعرفات" (الجزء الثانی صفحة ۳۲)

وقال،

فلما افضت الخلافة الی المامون، فاخذ اشیاءه وصرح باقوال لم یکونوا یستطیعون التصریح بھا خوفا من غضب الفقہاء وفی جملتھا القول بخلق القران ای انه غیر منزل (الجزء الثالث صفحة ۱۴۱)

غیر خاف علی احد ان العباسیین افتخروا وتطاولوا علی منازعیھم فی الریاسة لعظم فخرھم وابین حججھم انھم بنو عم النبی وسدنة البیت وخدمة الحرم ودعاة الاسلام ونقباء القران وصاحبنا یقول ان المنصور وھو موسس دولتھم وفاتحة خلفاءھم بنی القبة الخضراء ارغاما للکعبة وقطع المیرة عن المدینة تضیقا علی اھلھا وان المامون وھو افضل خلفاءھم دینا وورعا کان ینکر نزول القران وان المعتصم وھو فحلھم وواسطة عقدھم بنی کعبة فی سامرا وجعل لھا طوافا" ولعلک تقول ان الحاکم بالعدل والقایم بالقسط لیس له حمیم ولا عدو فھو یتحری الصدق ویدور مع الحق کیفما دار

فالمولف اذا اتتها سيئة من بني العباس قضى عليهم من غير محاباة بهم ولا ميل اليهم ولكن لك اذا عرضت له حسنة من بني امية فهو يوفي حقهم من الاستحسان وحسن القول وتنويه الذكر هيهات هذا كان رجاؤنا فخاب الظن وكذب الامل وذهب الثقة فان المولف لما ذكر بني امية عقد لمثالبهم ابوابا منها استخفافهم بالدين وذكر فيه قتال عبد الملك مع ابن الزبير فقلب الرواية كما اسبقنا ذكره فلو كان مغزى المولف الصدق وبيان الحقيقة لكان يعقد بابا للعباسية ايضا يذكر فيه استخفافهم بالكعبة وانكارهم لنزول القران وههنا موضع نظر الى دقة مكيدة المؤلف وحسن احتياله فانه يريد من طرف الغض من الكعبة والحط من القران ومن طرف الانتصار للعباسية والذب عنهم لاجل انهم كسروا شوكة العرب واتخذوا العجم بطانتهم وعمود دولتهم فذكر استخفافهم بالكعبة ولكن مغموسا مبددا تحت عنوان ثروة الدولة الاسلامية لياخذ بطرفي المطلوب ويفوز ببغيتيه معا،

اما كشف الجلية عن اصل الحال فالامر ان من يدعي الخلافة (وهي منصب ديني) ويرشح لها نفسه لا يجد الى ذلك سبيلا الا بالتظاهر بالدين والتصبغ به ونصب نفسه لاعلاء كلمته ورفع مناره وحمل الناس على تعظيم شعائره والتدني الى خاصة القائم به ليجلب عطف القلوب وجذب الاميال ورضاء العامة والتحبب الى الناس لذلك كان الخلفاء بنو امية

والعباسية كلاهما) يصلون بالناس ويؤمونهم ويحضرون الموسم ويحجون بهم او يرسلون من خاصتهم من ينوب منابهم ويخطبون على المنابر ولذلك لما اراد اهل الشام المكيدة بعلى رضى الله عنه ورفعوا المصاحف كف اصحاب عليّ من القتال ولما قال عليّ هذه خديعة منهم قالوا اذا المرتد عن هذا خلعناك فلم يقدر على خلافهم ورضى بما الحكمين وفق رضاه ولما فعل يزيد ما فعل ضج الناس وكادوا يبطون عليه لولا انه مات عاجلا ولما اراد الحجاج قتال ابن الزبير اغراهم بان ابن الزبير الحد في الدين وزاد على الكعبة ولذلك نصب المناجيق تلقاء الزيادة التى كان زادها ابن الزبير رض ولما جاهر الوليد ابن يزيد بالفسق قاموا عليه وقتلوه ولما قال ابو نواس يمدح الامين وصل القصيدة بهذا البيت

الا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر ولا تسقنى سرا فقد امكن الجهر

اتخذ المامون هذا وسيلة لاغراء الناس على مخالفة الامين فهل تصدق بعد كل ذلك بان المنصور او المعتصم كان يقدر او يسوغ له ان يصغر شان الكعبة ويمس من شرفها وهل كان يقدر المامون ان يحمل الناس على انكار القرآن والعياذ بالله - فاما استشهاد المؤلف فى هذه الواقعة بابن الاثير وغيره فكله تحريف وتدليس وسوء تاول ولولا انى سئمت من كشف دسائسه مرة بعد اخرى لاوضحت الامر وبينت حقيقة الحال،

قال المؤلف ولما تولى المعتصم سنة ٢١٠ واصطنع الاتراك والفراغنة

ازداد العرب احتقارا فى عيون اهل الدولة وتقاصرت ايديهم عن اعمالها حتى فى مِصْرَ فاَصْبَحَ لفظ العربى مرادفا لاحقر الاوصاف عندهم ومن اقوالهم العربى بمنزلة الكلب اطرح له كسرة واضرب راسه وقولهم لا يفلح احد من العرب الا ان يكون معه نبى ﷺ ينصره الله به (الجزء الثانى صفحه ۳۱ و ۳۲)

من احسن اعمال اٰل عباس عند المولف انهم صغّروا شان العرب و ساموها الخسف وسلّطوا عليهم الاعاجم والاتراك وجعلوهم ولاة البلاد بيدهم الامرُ والنهى والرفع والخفض والعقد والحل والنقض والابرام ذكر ذلك فى غير مواضع وكلما ذكره وجد من نفسه ارتياحًا اليه وشفاءً لحزازته وهزةً لعطفه ونيلًا لاربه ومع ان الواقعة مكذوبة او محرّفة على جرى عادته فنحن لا ننازعه فى ذلك ونطوى الحديث على غرته ولكن نقول اذا مدح احدٌ مثلا دولة افرنسا وقال انهم ذلّلوا الفرنساويين وارغموا انفهم واستلبوهم المناصب وقلّدوا الولايات الاجانب وجعلوهم قابضى ازمّة الامور يولّون ويعزلون وينفقون ويمسكون فهل هذا يكون مدحًا ترضى به دولة فرنسا اويكون هذا عارا يستحى منه ومسبة يستنكف عنها وشناعة تشمأزّ عنها القلوب وانصف من نفسك ماكان حظُّ العباسيين من تولية الاعاجم اما اٰل برمك فلا ننكر فضلهم ومحاسن اٰثارهم ولكنهم مع كل ذلك استاثروا بالاموال وانفردوا بالاعمال حتى لم يكن حظّ الخلفاء من الخلافة

الا الاسم فقط فاضطر الرشيد الى النكبة بهم وازالة دولتهم واما الاتراك فصاروا يلعبون بالخلافة كل ملعب فكم قتلوا من الخلفاء وسجنوهم وعذبوهم بانواع العذاب وتركوهم يموتون جوعا يسألون الناس ولا يعطون فهل هذه سياسة تمدح ومأثرة تذكر وفضيلة تفتخر بها۔

الخلفاء الراشدون المولف حرفته تاليف الكتب متكسبا به وهو يعرف حق المعرفة انه لو انتقد على الخلفاء الراشدين ونال منهم تصريحا كسد سوقه وخاب صفقته فلذلك ترك حيلا يكاد لا يتفطن لها اللبيب المتيقظ فضلا عن البليد المتساهل فعمد الى رؤس المثالب ونبه اليهم بانواع الاحتيال فتارة بتبديدها في تنيات الكلام وابعادها عن موضع العناية و تارة بايرادها عرضا موهما عدم الاعتناء بها وتارة بذكرها محتالا لها عذرا واذا كررت النظر في كلامه وتصفحت ما فيه وجمعت ما هو مبدد ونظمت ما هو مفرق تكاد تستيقن ان الخلفاء كانوا من اشد اعداء العلم وانهم ابادوا الكتب والخزانات واضطهدوا اهل الذمة وجعلوهم اذلاء لا يؤذن لهم ولا يوبه بهم۔

اما كونهم اعداء العلم فبين المؤلف ذلك اجمالا وتفصيلا فقال،

"كان الاسلام في اول امره نهضة عربية والمسلمون هم العرب كان اللفظان مترادفين فاذا قالوا العرب ارادوا المسلمين وبالعكس في اجل

هذه الغاية امر عمر بن الخطاب باخراج غير المسلمين من جزيرة العرب وتمكن هذا الاعتقاد في الصحابة لما فازوا في فتوحهم وتغلبوا على دولتي الروم والفرس فنشأ في اعتقادهم انه لا ينبغي ان يسود غيرا لعرب ولا يتلى غير القرآن"

"اما في الصدر الاول فقد كان الاعتقاد لعامرات الاسلام يهدم ما كان قبله فرسخ في الاذهان انه لا ينبغي ان ينظر في كتاب غير القرآن"

"فتوطدت العزايم على الاكتفاء به عن كل كتاب سواه ومحو ما كان قبله من كتب العلم في دولتي الروم والفرس كما حاولوا بعدئذ بهدم ايوان كسرى واهرام مصر وغيرها من آثار الدول السابقة"

(الجزء الثالث صفحه ۳۹)

"وبناءً على ذلك هان عليهم احراق ما عثروا عليه من كتب اليونان والفرس في الاسكندرية وفارس (الجزء الثالث صفحه ۱۳۵)

حريق الخزانة الاسكندرية | لم يقتنع المؤلف بذلك فعقد بابًا لاثبات ان حريق الخزانة الاسكندرية كان بامر عمر بن الخطاب واطال واطنب في ذلك واستدل عليه بستة دلائل نحن نذكرها مع الرد عليها اجمالاً،

قال اولاً،

ـــه الجزء الثالث من تمدن الاسلام،

"قد رايت فيما تقدم رغبة العرب فی صدر الاسلام فی محو کل کتاب غیر القرآن بالاسناد الی الاحادیث النبویة وتصریح مقدمی الصحابة،،

الذی ذکر قبل ذلک (انظر صفحة ٣٩) وحوّل علیه ھٰھنا اقوال منها "ان الاسلام یھدم ما کان قبله" وکلنا یعرف ان المراد به ابطال عواید الجاھلیة ومزعوماتھا ولیس المراد محو الکتب او احراق الخزاین ولکن لما کان المؤلف دخیلا فینا غریب الذوق والمعرفة حمل الکلام علی غیر محله اولعله عارف یتجاھل وبصیر یتعامی

ومنها قول النبی علیه السلام "لا تصدقوا اھل الکتاب ولا تکذبوھم وقولوا آمنّا بالذی انزل علینا وانزل علیکم والھنا والھکم واحدٌ،، ولا شیء متعلق فی ھذا بل ھو یخالف لما یریده المؤلف فان الحدیث یامر بالایمان بما انزل الی اھل الکتاب اما الاغفال عن تصدیق اھل الکتاب وتکذیبھم فلاجل کون اھل الکتاب غیر موثوقین بھم فی الروایة ومنها ان النبی صلی الله "رای فی ید عمر ورقة من التوراة فغضب حتی تبین الغضب فی وجھه ثم قال لم آتکم بھا بیضاء نقیة والله لو کان موسی حیا ما وسعه الا اتباعی" وھذا لا مستند فیه للمولف فان النبی صلی الله علیه وسلم خاف علی عمر عنایته بالتوراة والتصدیق بکل ما فیھا مع کونھا مغیرة لعبت بھا ایدی النقلة ولذلک قال لم آتکم بھا بیضاء نقیة، وھذا لا یستلزم بل لیس فیه

ادنیٰ اشارة الی محوہما والحاق الضرر بہا ونزیدک ایضاحاً للکلام بما فیہ ثلج الصدر وفصل الخطاب، فاعلم ان عمود الاسلام وقطب رحاہ ھو **القران** وعلیہ المعوّل وھو المستمسک فی کل باب وکان ھو العروة الوثقیٰ فی ھذا العصر للصحابة واھل القرن الاوّل و**القران** لہ عنایة کبریٰ بالتوراة والانجیل وھو الذی نوّہ بذکرھما وعظم شانہما، **فقال**

فاسئلوا اھل الذکران کنتم لا تعلمون والمراد بالذکر التوراة،

انا انزلنا التوراة فیہا ھدی،

ولو انہم اقاموا التوراة والانجیل وما انزل الیہم من ربہم لاکلوا من فوقہم ومن تحت ارجلہم،

مصدقاً لما بین یدی من التوراة،

مصدقاً لما بین یدیہ من التوراة،

ما کان حدیثاً یفتری ولکن تصدیق الذی بین یدیہ (ای التوراة والانجیل)

ولاجل ذلک کان عدة من اجلة الصحابة منقطعین الی قرءة التوراة والانجیل والاعتناء بحفظہما ودرسہما ولم یکتفوا بہا بل اخذوا یروون ویتفاوضون کل ما وجدوا من اقاصیص اھل الکتاب ومرویاتہم وقد اعترف بذلک المولف نفسہ فقال،

"وقد رایت ان العمدة فی التفسیر علی النقل بالتواتر والاسناد من النبی

فالصحابة فالتابعين، والعرب يومئذ اميون لا كتابة عندهم فكانوا اذا تشوقوا الى معرفة شئ مما تتوق اليه نفوسهم البشرية من اسباب الوجود وبدء الخلقة واسرارها سالوا عنه اهل الكتاب قبلهم من اليهود والنصارى. فكانوا اذا اسئلوا عن شئ اجابوا بما عندهم من اقاصيص التلمود والتوراة بغير تحقيق فامتلات كتب التفسير من هذه المنقولات (الجزء الثالث صفحة ٦٤)

وذكر المؤلف عقيب ذلك وهب بن منبه وانه قرء من كتب الله ٧٢ كتابا ثم قال،

"فكان للعرب ثقة كبرى فيه"، وقال بعد ذلك فكانت كتب التفسير فى القرون الاولى محشوة بالاخبار وفيها الغث والسمين مما نقل اليها من الاديان الاخرى"،

فانظر كيف يناقض المؤلف نفسه فقال،

"فنشاء فى عتقادهم انه لا ينبغى ان يسود غير العرب ولا يتلى غير القرآن"

"فرسخ فى الاذهان انه لا ينبغى ان ينظر فى كتاب غير القرآن"

"فتوطدت العزايم على الاكتفاء به (اى القرآن) عن كل كتاب سواه ومحو ما كان قبله من كتب العلم"،

ويقول الآن ان كتب التفسير فى القرون الاولى محشوة بالاخبار.....

مما نقل اليها من الاديان الاخرى وانه كان للعرب ثقة كبرى فى وهب بن منبه وان كتب التفسير امتلاءت من منقولات اهل الكتاب" فلو كان اهل القرن الاول يبغضون ما سوى القرآن ويمحون ما كان قبله من العلم كما يدعيه المؤلف فمن روى الاسرائيليات واقاصيص التلمود والتوراة وحشاها فى التفسير ولما كان المسئلة موضع زيادة تفصيل نزيد لك توضيحا وتفصيلا ،

كانت لعدة من الصحابة وكبراء التابعين عناية كبرى بالتوراة وغيرها من الكتب السماوية فمنهم ابو هريرة الذى كان ملازما للنبى عليه السلام منقطعا الى الرواية ، لم يك انه احد فى كثرة الرواية كان مشغوفا بقراءة التوراة ودرسها قال العلامة الذهبى فى طبقات الحفاظ فى ترجمته "عن ابى رافع عن ابى هريرة انه لقى كعبا (وهو حبر اليهود) فجعل يحدثه ويسأله فقال كعب ما رأيت احدا لم يقرء التوراة اعلم بما فيها من ابى هريرة"

ومنهم عبد الله بن عمرو بن العاص احد من هاجر قبل الفتح، قال الذهبى فى طبقات الحفاظ "كان من اياه النبى صوّاما قواما تاليا لكتاب الله طلابة للعلم كتب عن النبى صلى الله عليه وسلم علما كثيرا + + وكان اصاب جملة من كتب اهل الكتاب وادمن النظر فيها ورأى فيها عجايب ،

ومنهم عبد الله بن سلام حليف الانصار اسلم وقت مقدم النبى وفيه ورد قوله تعالى ومن عنده علم الكتاب نقل الذهبى بعد ذكر فضايله

وکونه عالما اهل لکتاب روایة بالاسناد یرفعه الی عبدالله بن سلام انه جاء الی النبی صلی الله علیه وسلم فقال انی قرءت القرآن والتوراة فقال اقرء هذا لیلةً وهذا لیلةً »، فهذا ان صح ففیه الرخصة فی تکریر التوراة وتدبرها،

ومنهم **کعب الاحبار** کان من کبار اهل الکتاب، اسلم فی زمن ابی بکر قال الذهبی قدم من الیمن فی دولة امیر المومنین عمر فاخذ عنه الصحابة وغیرهم واخذ هو من الکتاب والسنة عن الصحابه»، فهذا کانه تصریح فی ان الصحابة اخذوا عنه علم اهل الکتاب،

ومنهم **وهب بن منبه** قال الذهبی فی ترجمته "وعنده من اهل الکتاب شئ کثیر فانه صرف عنایته الی ذلك، وکان ثقة واسع العلم ینظر بکعب الاحبار فی زمانه، وعن وهب قال یقولون عبدالله بن اسلام اعلم اهل زمانه وکعب اعلم اهل زمانه،

فهل بعد کل هذا یصح قول المولف، ان الصحابة ومن یلیهم کانوا یقولون انه لا ینبغی ان یقرء کتابٌ غیر القرآن ومحوا ما کان قبلهم من العلم عیاذًا بالله،

قال المولف

ثانیًا جاء فی تاریخ مختصر الدول لابی الفرج" ثم نقل روایة الاحراق برمتها واطال فی اثبات ان ابا الفرج لیس با قل من روی هذه الروایة

بل ذکرها عبد اللطيف البغدادی عرضا فی ذکره عمرو والوازی و ذکرها القفطی فی تاريخ الحکماء"

لا ننازع المولف فی ان ابا الفرج مسبوق فی ذکر هذه الرواية بالقفطی والبغدادی ولکن ماذا ينفعه ذلك فان البغدادی وهو اقدمهما من القرن السادس للهجرة وذکر الرواية من غير اسناد ومن غير احالة علی کتاب

نعود المولف من صباه بقبول مختلقات اهل الکتاب واوهامهم فسبب ذلك انه يزن التاريخ الاسلامی بميزان غير ميزاننا ولذلك يصغی الی کل صوت ويستمع لکل قائل لا يعرف ان هذا الفن له اصول و مبادو قواعد ومالم يکن الرواية مطابقة لهذه الاصول اليقينية لا يلتفت اليها اصلا

منها ان الناقل للرواية لابد ان يکون شهد الواقعة فان لم يشهد فليبين سند الرواية ومصدرها حتی يتصل الرواية الی من شهدها بنفسه

ومنها ان يکون رجال السند معروفين بصدقهم وديانتهم

ومنها ان لا يکون الرواية تخالف الدراية ومجاری الاحوال

ولذلك اهتم مورخو الاسلام قبل کُلّ شئ بضبط اسماء الرجال والبحث عن سيرهم واحوالهم وديانتهم ومحلهم من الصدق فدوّنوا کتب اسماء الرجال وکابدوا فی ذلك محنة يضيق عنها النطاق البشری فعملوا کتبا غير محصورة منها الکامل لابن عدی والثقات لابن حبان و تهذيب

الكمال للمزی وتهذیب التهذیب لابن حجر وطبقات الصحابة لابن سعد ولابن ماکولا وابن عبد البر ولابن الاثیر ولابن حجر وتهذیب الاسماء للنووی ومیزان الاعتدال للذهبی ولسان المیزان لابن حجر۔

وتجد کتب القدماء من مورخی الاسلام کلها واکثرها کتاریخ البخاری وسیرة ابن اسحاق وتاریخ الطبری وابن قتیبة وغیره مسلسل الاسناد مبینة الاسماء لیمکن نقد الروایة ومعرفة جیدها من زیفها،

فاول شیء یهمنا فی هذا البحث ان نری هل ذکر القفطی والبغدادی هذه الروایة مسندة وذکرا مصدر الروایة واسماء رواتها ام لا،

وانت تعلم ان البغدادی والقفطی من رجال القرن السادس والسابع فای عبرة بروایة تتعلق بالقرن الاول یذکرانها من غیر سند ولا روایة ولا احالة علی کتاب،

اما کتب القدماء الموثوق بها فلیس لهذه الروایة فیها اثر ولا عین هذا تاریخ الطبری والیعقوبی والمعارف لابن قتیبة واخبار الطوال للدینوری وفتوح البلدان للبلاذری والتاریخ الصغیر للبخاری وثقات ابن حبان والطبقات لابن سعد قد تصفحناها وکررنا النظر فیها ومع ان فتح الاسکندریة مذکورة فیها بقضها وقضیضها لیس لحریق الخزانة فیها ذکر،

وعلاوة علی ذلک فان فی فتح مصر کتبا مختصة بذلک مثل خطط مصر

للكندی وكشف الممالك لابن شاهين، وتاريخ مصر لعبد الرحمن الصوفی و
تاريخ مصر لابن بركات النحوی وتاريخ مصر ليحيی بن عبد الله وغيرها مما ذكرها
صاحب كشف الظنون، **والمقريزی** جمع واوعی كل ذلك ولم يترك رواية
ولا خبراً يتعلق بعصر الا وذكره عند تفصيل الفتح ولم يذكر هذه الواقعة عند
ذكر فتح الاسكندرية،

قال المولف،

واما خلو كتب الفتح من ذكر هذه الحادثة فلابد له من سبب والغالب انهم
ذكروها ثم حذفت بعد نضج التمدن الاسلامی واشتغال المسلمين بالعلم
ومعرفتهم قدر الكتب فاستبعدوا حدوث ذلك فی عصر الخلفاء الراشدين
فحذفوه ولعل لذلك سبباً آخر،، (الجزء الثالث صفحه ۴۵)

لا يستبعد مثل هذا الكلام عن مثل المؤلف وكيف يقدر ديانة مورخی
الاسلام وشدتهم فی تحری الصدق ونزاهتهم عن التغير والتحريف وبراءة
ساحتهم عن الحذف والاسقاط، من صار غريزته تعمد الكذب والتحريف
والخيانة والمحو والاثبات .

قال المولف،

ثالثاً وردفی اماكن كثيرة من تواريخ المسلمين خبر احراق مكاتب فارس
وغيرها على الاجمال وقد لخصها صاحب كشف الظنون، (الجزء الثالث صفحه ۴۵)

انظر الی هذا الکذب الفاحش والخدیعة الظاهرة فان صاحب الکشف ذکر ما ذکر من عند نفسه من غیر نقل روایة ولا استناد ولا استشهاد بکتاب ولا ذکر ناقل ومورخ وصاحبنا یقول انه ورد فی اماکن کثیرة من تواریخ المسلمین خبر احراق المکاتب وقد لخصها صاحب کشف الظنون، فاین الاماکن الکثیرة واین التلخیص

اما قول صاحب کشف الظنون فقد ورد عرضا وتطفلا وکذلک قول ابن خلدون وامثال هذه المواقع لا تحتاج الی کبیر اعتناء وزیادة احتیاط ولذلک لما ذکر ابن خلدون فتح مصر واسکندریة وهو المظنة لذکر هذه الواقعة لم یتفوه بهذه الروایة اصلا ثم ان ابن خلدون وصاحب کشف الظنون من رجال القرن الثامن وبعده فما لم یذکرا انهما من این اخذا هذه الروایة لا یعبأ بها ولا یلتفت الیها،

قال المولف،

رابعًا ان احراق الکتب کان شایعًا فی تلک العصور کما فعل عبد اللّٰہ بن طاهر بکتب فارسیة (الجزء الثالث صفحه ۴۵)

یا للعجب، عبد اللّٰہ بن طاهر من قواد المامون ومن رجال الادب وهذا العصر یمتاز بکونه عصر العلم والمعارف وقد کانت للدولة ورجال حاشیتها وغیرهم عنایة کبری بکتب الاوائل وکانوا یجلبون الکتب من فارس وبلاد الروم وغیرها تجد تفاصیل ذلک فی فهرست ابن الندیم

وطبقات الاطباء واخبار الحكماء وغيرها فكيف يعوّل على هذه الرواية التي ما ذكرها احدٌ من ثقات المورخين وانما استند المولف ببراون المعلم الانكليزي وهو نقلها من تذكرة دولت شاه وهو كتابٌ جامعٌ لكل غثٍ وسمين، ولو صحّ نقلها لكانت على سبيل الندرة والشذوذ فهل يصح قول المولف ان احراق الكتب كان شايعاً فى تلك العصور،

قال المولف، خامسا،

ان اصحاب الاديان فى تلك العصور كانوا يعدّون هدم المعابد القديمة واحراق كتب اصحابها من قبيل السعى فى تائيد الاديان الجديدة،

(ثم ذكر فى تائيد ذلك عمل امبراطورة الروم واحراق كتب المعتزلة،

نعم ولكن الراشدين لا يقاسون بغيرهم، ثم ان المسئلة ليست قياسية فما لم تثبت بالرواية لا ينفع مجرد القياس،

قال المولف، سادسا،

فى تاريخ الاسلام جماعة من ائمة المسلمين احرقوا كتبهم من تلقاء انفسهم،

(ثم ذكر بعض الحوادث فى تائيد ذلك،)

عجباً لمثل هذا الاستدلال، فان المرء يجوز له ان يفعل بملكه ما يشاء واىّ حجةٍ فى ذلك لاحراق كتب اقوام اخر،

انّ هذه القياسات الواهية لا تغنى شيئاً ولكن لو اردنا ان نشفى

فی ذلک البحث بالقیاس والامارات فعلینا ان ننظر ما کان صنیع الخلفاء الراشدین

باثار اهل الذمة ومعابدهم وکنائسهم وامتعتهم وخزاینهم، ان الاصل فی ذلک

عهد النبی صلی الله علیه وسلم الذی کتبه لاهل نجران وقد ذکره القاضی

ابویوسف فی کتاب الخراج بحروفه

ولنجران وحاشیتها جوار الله وذمة محمد النبی رسول الله علی اموالهم انفسهم وارضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشیرتهم وبیعهم وکل ما تحت ایدیهم من قلیل اوکثیر (کتاب الخراج طبع مصر صفحة ۴۱)

فکان هذا العهد هو العمدة للصحابة عضوا علیه بالنواجذ وتجد فی

کل عهود الخلفاء الراشدین کعهد نجران ومصر وشام والجزیرة ان هذا

الاصل ای ذمة الله ورسوله علی ارضهم وکل ما تحت ایدیهم من قلیل او کثیر

محفوظ باقٍ علی حیالتها الاصلیة وعهد مصر هو هذا۔

"هذا ما اعطی عمرو بن العاص اهل مصر من الامانِ علی انفسهم ودمهم

واموالهم وصاعهم ومدهم وعددهم"

وذکر فی معجم البلدان روایة بزیادة "ان لهم ارضهم واموالهم لا یتعرضون

فی شیءٍ منها" وانت تعلم ما لعمر الفاروق من العنایة والشدة فی وفاء العهد

باهل الذمة وغیرهم ومع عهده بانهم لا یتعرضون فی شیءٍ من اموالهم

وکل ما تحت ایدیهم کیف کان یتعرض لخزانة کانهم التی هی من انفس ذخائرهم واغلاها

اعلم ان مسئلة احراق الخزانة الاسكندرية موضوع مهم عند اهل اوربا وقد طال البحث فيه اثباتا ونفيا وممن الم بهذا البحث اجمالا وتفصيلا المعلم وايت والمعلم دساسى الفرنساوى فى ترجمة كتاب الافادة والاعتبار وواشنگتن ارونگ ودريپر الاميركانى صاحب كتاب الجدال بين العلم والدين وكرچن وسيديو الفاضل الشهير الفرنساوى فى تاريخ الاسلام والمعلم رينان الفيلسوف الفرنساوى فى خطبته الاسلام والعلم، وار تمر گلبين، وللمعلم كريل الالمانى رسالة مستقلة فى هذا البحث قدمها الى المؤتمر الشرقى الذى انعقد سنة ۱۸۷۰م، اورد فيها كل ما كتب الباحثون فى هذا البحث نفيا او اثباتا وقد طالعت كل هذه المباحثات والمقالات وعملت رسالة فى لسان الاردو وترجمت الى الانكليزية ثم الى العربية ترجمها احد من اهل الشام وطبع شطر منها فى جريدة ثمرات الفنون، ومجلة المقتبس،

والحاصل ان محققى اهل اوربا قضوا بان الواقعة غير ثابتة اصلا منهم جيبن المورخ الشهير الانكليزى ودريپر الاميركانى وسيديو الفرنساوى وكريل الالمانى والمعلم رينان الفرنساوى عمدتهم فى انكار ذلك امران الاول ان الواقعة ليس لها عين ولا اثر فى كتب التاريخ الموثوقة بها كالطبرى وابن الاثير والبلاذرى وغيرها مما مر ذكرها واول من ذكرها عبد اللطيف والقفطى وهما من رجال القرن السادس والسابع ولم يذكرا مصدرا للرواية

ولا سند۔ والثانی ان الخزانۃ کان ضاعت قبل الاسلام اثبتوا ذلك بدلائل لا یمکن انکارھا،

قال المؤلف،

"قلنا فیما تقدم ان الخلفاء الراشدین کانوا یخافون الحضارۃ علی العرب" ولذلك منعوھم عن تدوین الکتب" "وکان ھذا الاعتقاد ناشئاً فی الصحابۃ والتابعین و تمسك بہ جماعۃ من کبارھم وکانوا اذا استأذنوا ندوین علیھم ابوا واستنکفوا (الجزء الرابع صفحۃ ۵۰)

اطال المؤلف ونقل اقوالا عدیدۃ فی اثبات ان الخلفاء الراشدین و الصحابۃ کانوا یمنعون الناس عن الکتابۃ والتالیف ونحن لا ننکر ان ھذا کان مذھباً لبعض الصحابۃ والتابعین ولکن الذین رخصوا فی ذلك وامروا بالکتابۃ والتدوین اکثرھم عدداً وارجحھم میزاناً واوسعھم نفوذاً وقد عقد المحدث المشھور القاضی ابن عبد البر فی کتابہ جامع بیان العلم (انظر صفحۃ ۷۲ طبع المصر) باباً فی اثبات ذلك ونحن ننقل شطراً منھا، قال "وعن انس بن مالك قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم قیدو العلم بالکتاب وعن عبد الملك بن سفیان عن عمہ انہ سمع عمر بن الخطاب یقول قیدو العلم بالکتاب وعن معن قال اخرج الی عبد الرحمن ابن عبد اللہ بن مسعود کتاباً وحلف لی انہ خط ابیہ بیدہ وعن ابی بکر قال سمعت الضحاك یقول اذا سمعت شیئاً فاکتبہ ولو فی حائط وعن سعید بن جبیر انہ کان

يكون مع ابن عباس فيسمع منه الحديث فيكتبه في واسطة الرحل فاذا نزل
نسخه وعن ابي قلابة قال الكتاب احب الينا من النسيان وعن ابي مليح قال
يعيبون علينا الكتاب وقد قال الله علمها عند ربي في كتاب، وعن عطاء عن
عبدالله بن عمرو قلت يارسول الله أأقيّد العلم قال قيد العلم قال عطاء
قلت وما تقييد العلم قال الكتاب وعن عبدالعزيز بن محمد الدراوردي
قال اول من دون العلم وكتبه ابن شهاب وعن عبدالرحمان بن ابي الزناد
عن ابيه قال كنا نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كلما سمع فلما
احتيج اليه علمتُ انه اعلم الناس وعن سوادة بن حيان قال سمعت معاوية
بن قرة يقول من لم يكتب العلم فلا تعدوه عالما وعن محمد بن علي قال
سمعت خالد بن خداش البغدادي، قال ودّعتُ مالك بن انس فقلت
يا ابا عبدالله اوصني قال عليك بتقوى الله في السر و العلانية والنصح لكل
مسلم وكتابة العلم من عند اهله وعن الحسن انه كان لايرى بكتاب العلم باسا
وقد كان املى التفسير فكتب وعن الاعمش قال قال الحسن ان لنا كتبا
نتعاهدها وقال الخليل بن احمد اجعل ماتكتب بيت مال وما في صدرك
للنفقة وعن هشام بن عروة عن ابيه انه احترقت كتبه يوم الحرة
وكان يقول وددت لوان عندي كتبي باهلي و مالي وعن سليمان
بن موسى قال يجلس الى العالم ثلاثة رجلٌ ياخذ كل ما سمع فذلك

حاطب ليل ورجل لايكتب ويستمع فذلك يقال له جليس العالم ورجل ينتهي وهو خيرهم وهذا هو العالم وعن اسحٰق بن منصور قال قلت لاحمد بن حنبل من كره كتابة العلم قال كرهه قومٌ ورخّص فيه اٰخرون قلت له لولم يكتب العلم لذهب قال نعم لولا كتابة العلم اىُّ شئ كنا نحن قال اسحٰق و سالتُ اسحٰق بن راهويه فقال كما قال احمد سواء وعن حاتم الفاخر و كان ثقة قال سمعت سفيان الثوري يقول انى احب ان اكتب الحديث على ثلاثة اوجهٍ حديث اكتبه اريد ان اتخذ دينا وحديث رجل اكتبه فاوقفه لا اطرحه ولا ادين به وحديث رجل ضعيف احب ان اعرفه ولا اعبأ به وقال الاوزاعى تعلّم ما لايوخذ به كما تتعلم ما يوخذ به و عن سعد بن ابراهيم قال امرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبنا ها دفترًا دفترًا فبعث الى كل ارضٍ له عليها سلطانٌ دفترا وعن ابى زرعة قال سمعت احمد بن حنبل و يحيى بن معين يقولان كل من لايكتب العلم لايومن عليه الغلط وعن الزهرى قال كنا نكره كتاب العلم حتى اكرهنا عليه هؤلاء الامراء فرأينا ان لانمنعه احدًا من المسلمين و ذكر المبرد قال قال الخليل بن احمد ما سمعت شيئًا الا كتبته ولا كتبته الا حفظته ولا حفظته الا نفعني

الضغط على اهل الذمة ادعى المولف ان عمر بن الخطاب كتب عهدًا لنصارى اهل الشام وذكر نصه منقولا عن سراج الملوك للطرطوشى

واعترف بان فيه ضغطا على النصارى ثم اعتذر لعمر بان نصارى الشام كانوا يميلون الى قيصر الروم وكانوا من بطانته يتجسسون له فلذلك احتيج الى الشدة بهم والتضييق عليهم،

كل من له ادنى مسكة فى التاريخ يعرف ان **الطرطوشى** ليس من رجال التاريخ وكتابه كتاب ادب وسياسة لاكتاب تاريخ وهو من رجال القرن السادس وانما المعول فى هذا البحث المصادر القديمة الموثوقة بها كتاريخ الطبرى والبلاذرى واليعقوبى وابن الاثير وغيرها وهذا ماكان يخفى على المولف ولكن لاجل هوى نفسه اعرض عن كل هذه وتشبث برواية واهية تخالف الروايات الصحيحة المذكورة باسنادها ورجالها، قال القاضى ابويوسف وهو مع كونه من رجال الفقه عارف بالمغازى والسير بعد مانقل عهد نصارى الشام وليس فيه ادنى ضغط عليهم ولاشدة بهم،

"فلما راى اهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن السيرة فيهم صاروا اشداء على عدو المسلمين وعونا للمسلمين على اعدائهم فبعث اهل كل مدينة ممن جرى الصلح بينهم وبين المسلمين رجالا من قبلهم يتجسسون الاخبار عن الروم وعن ملكهم ومايريدون ان يصنعوا فاتى اهل كل مدينة رسلهم يخبرونهم بان الروم قد جمعوا جمعا ×× فكتب ابوعبيدة الى كل وال ممن خلفه فى المدن التى صالح اهلها يامرهم ان يردوا عليهم مااجبى منهم من الجزية

والخراج وكتب اليهم ان يقولوا لهم انما رددنا عليكم اموالكم لانه قد بلغنا انه جمع لنا من الجموع وانكم قد اشترطتم علينا ان نمنعكم وانا لانقدر على ذلك وقد رددنا عليكم ما اخذنا عنكم، فلما قالوا ذلك لهم وردوا عليهم الاموال التي جبوها منهم قالوا ردكم الله علينا ونصركم عليهم فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئًا واخذوا كل شئ بقي لنا حتى لايدعوا شيئًا (كتاب الخراج طبع مصر صفحه ۱۳۹)

فانظر الى هذا العدل الذي عجز البشر عن اتيان مثله واعتراف اهل الذمة بذلك والى قول المولف ان عمر ضغط عليهم وانما ضغط لانهم كانوا من جواسيس الروم،

تاريخ العلوم الاسلامية | اما تاريخ العلوم الاسلامية والتقريظ عليها فقد فقدنا اليوم في ملتنا من يقوم بهذا العبأ فكيف برجل دخيل فينا مزجاة البضاعة قليل المعرفة لا يعرف من علومنا الا اسماءً اتلقاها من ظواهر الكتب وافواه العامة فاذا تكلم عن شئ منها خبط وخلط وهاك امثلة من ذلك قال "وكان المسلمون غير العرب هنالك اكثرهم الفرس وهم اهل تمدن وعلم فعمدوا الى استخدام القياس العقلي في استخراج احكام الفقه من القرآن والحديث فخالفوا بذلك اهل المدينة لانهم كانوا اشد يدى التمسك بالتقليد" (الجزء الثالث ص ۱۷) ظن الرجل ان استخدام القياس و الراى من مبتدعات الفرس مع ان اول من سمى بهذا الاسم هو **ربيعة الراى** صرح بذلك السمعاني في الانساب وهو من اهل **المدينة** وممن اخذ عنه الامام مالك، وان المالك والشافعي وابايوسف والامام محمد كلهم يستعملون القياس مع كونهم

من العرب ارومة وموطناً واداةً وانّ الفارق بين اصحاب الرأى والحديث ليس استعمال القياس وفصل القضية فى ذلك تجده فى كتاب حجة الله البالغة لشاه ولى الله الدهلوى من متاخرى حكماء الاسلام- ثم قال المولف "فكان من جملة مساعى المنصور فى تصغير امر المدينة وفقهائها وخصوصاً مالك بعد ان افتى بخلع بيعته انّه نصر فقهاء العراق القائلين بالقياس وكان كبيرهم يومئذ ابا حنيفة النعمان فى الكوفة فاستقدمه المنصور الى بغداد واكرمه وعززمن هيبه،،

ظلمات بعضها فوق بعض، ما كان ابو حنيفة ارفع مكانة عند المنصور من مالك فان ابا حنيفة كان هواه مع ابراهيم الخارج على المنصور وكان افتى بنصرة ابراهيم ولذلك اراد المنصور المكيدة به فاستدعاه وعرض عليه القضاء ولما لم يرض به سجنه وامر بضربه حتى مات فى السجن، اما ما قال عن تصغير امر الامام مالك فيخالف الروايات الصحيحة الثابتة قال القاضى بن عبد البرّ فى كتاب جامع العلم (صفحة ٧٠) عن محمد بن عمر قال سمعت مالك بن انس يقول لما حج ابو جعفر المنصور دعانى فدخلت عليه فحدثته وسالنى فاجبته فقال انى عزمت ان آمر بكتبك هذه التى وضعتها يعنى الموطاء فينسخ نسخاً ثم ابعث الى كل مصر من امصار المسلمين منها نسخة وآمرهم ان يعملوا بما فيها لا يتعدوها الى غيرها ويدعوا ما سوى ذلك من هذا العلم المحدث فانى رايت اصل هذا العلم رواية اهل المدينة وعلمهم الخ-

قال "وكان ابو حنيفة لا يحب العرب ولا العربية حتى انه لم يكن يحسن الاعراب ولا يبالى به

(الجزء الثالث صفحة ١، مستندا بابن خلكان) نعوذ بالله من هذا الكذب الظاهر والمين الفاحش، استشهد المؤلف فى هذه الواقعة بابن خلكان والحال ان ابن خلكان ذكر فى تاريخه فى ترجمة ابى حنيفة بعد ذكر محاسنه ان الخطيب البغدادى اطال فى مثالب ابى حنيفة ثم انكر عليه ذلك وقال ماكان يعاب ابو حنيفة الا بقلة العربية فانه قال ولو رماه بابا قبيس ثم اعتذر له بنوع من العذر وليس فيه اقل شئ يومى الى ان ابا حنيفة كان لا يحب العرب والعربية، ثم ان ابا حنيفة كان ناقما على العباسية المحامين للفرس وكان من شيعة زيد الامام ابن الامام زين العابدين وكان تلميذ الحماد وهو تلميذ الابراهيم النخعى وكلهم عرب - ثم اصحابه الملازمون له والناشرون لفقهه والقائمون بدعوته اى ابا يوسف ومحمدا وزفر كلهم عرب، اما لحن ابى حنيفة فمعلوم انه عجمى وكم من الاعجام الذين هم رؤس الادب ووجوه العربية كحماد الراوية وغيره كانوا يلحنون وكان هذا طبيعتهم وغريزتهم،

فمن كان هذا مبلغه من العلم ومحله من النظر هل يصلح لسلوك هذا الطريق الوعر والخوض فى غمار هذا البحث الدقيق الذى يحتاج الى التضلع فى العلوم الاسلامية والتوسع فيها مع سعة النظر ووفرة المواد واصابة الراى وشدة الفحص وافراغ الجهد وتكميل الادوات ثم ان الرجل ههنا هو الرجل الذى عرفناه قبل ذلك فى سوء طويته وكامن حقده وتحامله على العرب واعتياده بالتحريف وتمرنه بسوء التاويل وتلبيس الكلام وهاك امثلة من هذه،

قال (تحت عنوان الفقہ) فلما افضی الامر الی بنی العباس و اراد المنصور تصغیر العرب واعظام امر الفرس لانہم انصارہم واہل دولتہم کان من جملۃ مساعیہ فی ذلک تحویل نظار المسلمین عن الحرمین فبنی بناءً سماہ القبۃ الخضراء حجاً للناس وقطع المیرۃ عن الحرمین وفقیہ المدینۃ یومئذ الامام مالک الشہیر فاستفتاہ اہلہا فی امر المنصور فافتی لہم بخلع بیعتہ (الجزء الثالث صفحۃ ٧١)

وہذا کلہ کذب واختلاق والمنصور ابعد محلا وابرء ساحۃ من ان یبنی بناءً ارغاماً للکعبۃ وقد سبق لنا الکلام فیہ فاما قطع المیرۃ عن المدینۃ فلم یکن الا حجراً علی محمد وتضییقاً علیہ لما قام بالخلافۃ وقد صرح بذلک المقریزی (الجزء الثانی صفحۃ ١٤٣) فقال "وذکر البلاذری ان ابا جعفر المنصور لما ورد علیہ قیام محمد بن عبد اللہ قال تکتب الساعۃ الی مصر ان تقطع المیرۃ عن اہل الحرمین والامام مالک کان ہواہ مع محمد یحرض الناس علی موازرتہ وافتی بخلع بیعۃ المنصور" فانظر کیف قلب المولف الحکایۃ وصرفہا عن وجہہا فخروج محمد وافتاء الامام مالک متقدمان علی قطع المیرۃ عن المدینۃ وخروج محمد ہو السبب فی قطع المیرۃ والمولف یقول ان قطع المیرۃ انما کان ارغاماً للحرمین وان الامام مالک افتی لذلک بخلع بیعتہ۔

قال المولف بعد ما ذکر رغبۃ بنی امیۃ فی الشعر وتنشیطہم للناس (تحت عنوان الشعر وبنو امیۃ) وقد یتبادر الی الاذہان انہم کانوا یفعلون ذلک رغبۃ فی الادب وتنشیطاً لاہلہ لان الشعر سجیۃ فی العرب ودولۃ الامویین عربیۃ

بحتة ولكن الاغلب انهم كانوا يفعلونه للاستعانة بالسنة الشعراء على مقاومة اهل البيت الخ

(الجزء الثالث صفحه ١٠٢) فانظر الى هذا التحامل المفرط والحيف الشديد فانه

لما لم يجد سبيلا الى انكار ما لبنى امية من الايادى فى ترويج سوق الادب فى رفع منار

الشعر والاخذ بناصر علماء العربية واعطاء الصلات المتكاثرة للشعراء احتال لدفعه

بابداء احتمال انهم كانوا مدفوعين الى ذلك سياسة،

قال وقد تقدم فى كلامنا عن الفقهاء ان المنصور اخذ بناصر اصحاب

الراى والقياس واستقدم ابا حنيفة الى بغداد ونشطه لهذه الغاية وظل

الميل الى القياس متواصلا فى بنى العباس **والاعتزال** قريب لمذاهب اصحاب

الراى الخ (الجزء الثالث صفحة ١٤٠) انظر الى ما بلغ به حال المؤلف فى جهله بالمعارف

الاسلامية حتى انه يقرن بين **الاعتزال والراى** ويعدهما من جنس واحد

ولم يدر المسكين ان لا رابط بينهما فان الاعتزال احد المذاهب الكلامية والراى

والقياس من احد اصول الفقه ومعظم اصحاب الراى والقياس بل كلهم

(الا الشاذ النادر منهم) كابى حنيفة ومحمد وابى يوسف وزفر وابى لولو والطحاوى

والخصاف وابى بكر الرازى والدبوسى وغيرهم كانوا ناقمين على **الاعتزال** كانوا

يعدون المعتزلة من اهل الاهواء والضلالة،

قال فلما افضت الخلافة الى المامون فاخذ بناصر اشياعه وصرح باقوال

لم يكونوا يستطيعون التصريح بها خوفا من غضب الفقهاء وفى جملتها القول

بخلق القرآن ای انه غیر منزل (الجزء الثالث صفحة ۱۳۱)،

وهل یکون کذب اعظم من هذا فان خلق القرآن اوقدمه لامساس له بالتنزیل او عدمه فان الاختلاف فی ان هل الکلام صفة حادثه تقوم بالله تعالی وهو صفة قدیمة **فالمعتزلة** قالوا بحدوثه حذرا من تعدد القدماء واهل السنة وغیرهم قالوا بقدمه لان الحادث لایقوم بقدیم فاما ان القرآن کلام الله تعالی منزل الی الرسول فهذا لایختلف فیه اثنان۔

قال واما الفلسفة بجدتها فقد کان اصحابها متهمین بالکفر وکان الانتساب الیها مرادفا للانتساب الی التعطیل وقد شاع ذلك فی **بغداد** بین العامة حتی فی ایام المامون ولذلك سماه بعضهم امیر الکافرین (الجزء الثالث صفحة ۱۷۷) استشهد المولف فی هذا القول بالیعقوبی ونحن ننقل عبارته حتی تعرف مقدار خدیعة المولف، قال الیعقوبی "وشخص هرثمة من العراق الی مرو سنة ۲۰۱ وقیل له انصرف بغیر اذن من المامون فلما دخل علی المامون ××× قال من تقرب ولایمکننی مشی فی محفة ××× وکلم المامون بکلام علیه ودخل معه یحیی بن عامر ابن اسمعیل الحارثی فقال السلام علیك یا امیر الکافرین فاخذته السیوف فی مجلس المامون حتی قتل فقال هرثمة قدمت هذه المجوس علی اولیاءك وانصارك واتوا محمد بن صالح بن المنصور فقالوا نحن انصار دولتکم وقد خشینا ان تذهب هذه الدولة بما حدث فیها من تدبیر المجوس"، (الیعقوبی صفحة ۵۴۶ و ۵۴۷)

ان المامون استوزر حسن بن سهل وكان مجوسيا اسلم فنقم العرب على المامون و قالوا انك قدمت المجوس وقال له يحيى السلام عليك يا امير الكافرين فهذا كله من السياسة لامساس لها بالفلسفة والاعتزال وابن هرثمة ويحيى بن عامر الحارثي من اهل الجند ما عرفا الفلسفة ولا سمعا بها ،

قال المؤلف ولكن الاسلام كان اقرب الى اطلاق حرية الفكر والقول وخصوصا في اوائله فلم يكن احدهم يستنكف من ابداء ما يخطر له ولو كان مخالفا لراي الخليفة ولذلك كثرت الفرق الاسلامية يومئذ وتعددت مذاهب اصحابها في القراءة والتفسير والفقه وفي كل شيء حتى ذهب بعضهم الى ان سورة يوسف ليست من القران لانها قصة من القصص القائلون بذلك العجاردة (الجزء الثالث صفحة ٦١) انظر الى هذه الخديعة يمدح الاسلام بكونه اقرب الى حرية الفكر ويدس فيه ان بعض الطوائف الاسلامية كانت تنكر ان سورة يوسف من القران وهم العجاردة يوهم بذلك ان العجاردة فرقة من الفرق الاسلامية وان انكار بعض سور القران كان مذهبا من مذاهب الاسلام مع ان العجاردة وهم حماد عجرد واثنان اخران معروفين بالالحاد والزندقة والمروق عن الاسلام ذكرهم ابن خلكان والشهرستاني وغيرهما ،